د. محمد أحمد الشحرى (*)

العلاقة بين إقليم خوارزم والخلافة العباسية

إبان خلافة المقتفى لأمر الله ٥٣٠-٥٥٥ هـ

من خلال رسائل رشيد الدين الوطواط (ت٥٧٣ هـ)

دراسة وثائقية تحليلية مقارنة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقدمة

هذا بحث يتناول العلاقة بين إقليم خوارزم والخلافة العباسية إبان خلافة الخليفة المقتفى لأمر الله ٥٣٠-٥٥٥ هـ وذلك من خلال رسائل رشيد الدين الوطواط صاحب ديوان الإنشاء فى إقليم خوارزم وأحد المقربين لخوارزم شاه أتسز والى خوارزم آنذاك، وهذا الرسائل تعد من الوثائق التاريخية المهمة التى توضح بجلاء طبيعة العلاقة بين أحد أقاليم الدولة الإسلامية - خوارزم - وبين دار الخلافة العباسية فى بغداد والتى ظلت تحتفظ بقدر من هيبتها .وقد كتبت هذه الرسائل بناء على رغبة أتسز والى خوارزم، وذلك لتوطيد علاقته مع الخلافة العباسية بعد أو وصلت علاقته مع السلاجقة إلى نقطة اللاعودة ثم لإيجاد الشرعية اللازمة لحكم خوارزم مستقلا بها عن سلطان السلاجقة.

---

*- مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة بجامعة الأزهر.

وينقسم هذا البحث إلى ثلاثة محاور:

الأول: يتناول الأجواء العامة للخلافة العباسية إبان فترة هذه المراسلات والأحداث العامة فى إقليم خوارزم وطبيعة علاقة الإقليم مع السلاجقة التى تميزت فى بداية حكم أتسز ٥٢١ هـ بأنها كانت ودية للغاية ثم دور العداء بين الطرفين الذى يبدأ من سنة ٥٢٩ هـ تقريباً وحتى وفاة أتسز سنة ٥٥١ هـ باستثناء الفترة الأخيرة من حكمه من سنة ٥٤٨-٥٥١ هـ

الثانى: تحدثت فيه عن شخصية كاتب هذه الرسائل والمجالات التى نبغ فيها من خلال أوثق المصادر التى تحدثت عنه ثم أثبت نصوص هذه الرسائل موضحاً بعض كلماتها ثم الدافع من وراء هذه المكاتبات للخليفة العباسى وتحديد الإطار الزمنى التقريبى لهذه المراسلات.

وفى المحور الثالث: تناولت تحليل هذه الرسائل موازنا بين ما جاء فى ثناياها وما ورد فى المصادر التاريخية المعاصرة وخاصة كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى «ت ٦٣٠ هـ» فقد تضمن معلومات وافية حول الوقائع والأحداث التى دارت بين خوارزم والسلاجقة وقد وضح التطابق فى كثير من الأمور بين ما جاء من الرسائل وما اثبته أبن الأثير فى كتابه إضافية الإشارات التى وردت فى بعض المصادر الأخرى ككتاب الحسينى: زبدة التواريخ وقد استعنت أيضاً ببعض الدراسات الحديثة التى تناولت تلك الفترة وتحدثت عن أهم أحداث تاريخ خوارزم وتاريخ السلاجقة حينذاك. ثم خلصت فى النهاية إلى بعض النتائج.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المحور الأول:

الأجواء العامة للخلافة العباسية وإقليم خوارزم إبان فترة المراسلات

- أهم ملامح الخلافة العباسية إبان النصف الأول من القرن السادس الهجرى
- الأوضاع العامة فى إقليم خوارزم

- أهم ملامح الخلافة العباسية إبان النصف الأول من القرن السادس الهجرى:

لعل أهم ما يميز الخلافة العباسية – بصفة عامة – إبان تلك الفترة خضوعها لسلطان السلاجقة منذ أن بسطوا سلطانهم على مركز الخلافة فى سنة ٤٤٧ هـ(١) وعلى الرغم من أن بعض الخلفاء العباسيين قد ضاقوا ذرعاً من أمال السلاجقة وأظهروا هذه الضيق خاصة فى خلافة المسترشد بالله (٥١٣-٥٢٩ هـ) (٢) إلا أن الأوضاع ظلت كما هى، فالسلاجقة عملوا على أن تكون الخلافة اسمية فكل أمور الدولة تقريباً فى أيديهم لأن القوة الفعلية معهم فهم الذين يولون الخليفة ويتحكمون فى ولاية العهد ،ولعل أبرز مثال يوضح تسلط السلاجقة على الخلافة – إبان فترة الدراسة ما قام به السلطان السلجوقى مسعود (٣) عندما اختار للخلافة المقتفى لأمر الله ابن المستظهر (٤) وطلب من الخليفة كتابة محضر يتضمن خلع الراشد ابن أخى الخليفة من الخلافة وولاية العهد(٥).

وزيادة من السلاجقة فى الحرص والسيطرة على الخلفاء اتبعوا سياسة المصاهرة لزيادة أواصر الارتباط بينهم وبين الخلفاء وتأمينا لسيادتهم وهيمنتهم فى ذات الوقت فنجد أن الخليفة المستظهر بالله (ت ٥١٢ هـ) (٦) قد تزوج من خاتون بنت ملكشاه على صداق قدره مائة ألف دينار (٧) أما أخر خلفاء العباسين الذين تزوجوا من السلاجقة فهو الخليفة المقتفى لأمرا لله، فقد تزوج بفاطمة بنت السلطان محمد السلجوقى وذلك فى شهر رجب سنة ٥٣١ هـ وهى أخت السلطان مسعود (٨)، ورغم حرص السلاجقة على مصاهرة الخلفاء العباسيين إلا أن زواج المقتفى لم يحل دون الخلافات والنزاعات بينه وبين السلاجقة، وزاد الأمر سوء إبان خلافة المقتفى ما أقدم عليه مسعود عندما جرد قصر الخليفة مما تحت يده، فأخذ الدواب والأثاث والذهب والستور، ويقال أن مبايعة السلاجقة للمقتفى كانت مشروطة بألا يكون عند الخليفة خيل ولا اله سفر ولما طلب مسعود مزيدا من الأموال إجابه الخليفة أنه لا يمتلك درهما واحداً وأنه – أى مسعود – أخذ جيمع ما فى دار الخلافة بما فى ذلك الأثاث، فمن أين يأتى بالمال؟ وأن الخليفة عاهد الله تعالى إلا يأخذ درهما من الناس ظلما أو بغير حق، وهذا الخبر يوضح إلى أى حد وصل استبداد السلاجقة وتسلطهم على الخلفاء، والتضييق عليهم لكى لا تقوم للخلفاء قائمة، ولا شك فى أن مثل هذه الأحداث قد ساعدت على زيادة الضيق والتبرم، إلا أن الخلفاء غالبا ما كانوا يخضعون لهذا التسلط، نظراً لعدم وجود القوة اللازمة تحت أيديهم إلا أن المقتفى عمل على التخلص من هذا الاستبداد بتكوين

جيش خاص للخلافة(٩)، وهى خطوة مهمة فى طريق الخلافة، ومكنت الخليفة أيضاً فيما بعد من الدفاع عن بغداد.

وبذلك يمكن القول بأن المقتفى قد بدا حركة إصلاحية تهدف لعودة هيبة الخلافة مرة أخرى، وقد نجح فى ذلك إلى حد بعيد خاصة بعدما علم بوفاة مسعود سنة ٥٤٧ هـ والتى كانت وفاته بداية نهاية سيطرة السلاجقة على العراق (١٠)، فسارع الخليفة عندئذ بطرد شحنة بغداد مسعود بلال (١١)، وصادر داره وديار أصحاب السلطان بجميع ما فيها، وعزل رجال السلطان وعين غلمانا من الروم والأرمن وجعلهم أمراء، وسيطر الخليفة على بلاد العراق من أقصى الكوفة إلى طريق خراسان ونواحى حلوان... فسيطر على ما لم يسيطر عليه خليفة عباسى من ذى قبل منذ أن سيطر السلاجقة على السلطة فى الدولة العباسية (١٢)، وهذه الأحداث تعطى صورة واضحة عن طبيعة علاقة الخلفاء بالسلاجقة.

الأوضاع العامة فى إقليم خوارزم:

يرجع نسب الأسرة الخوارزمية إلى عبد تركى يدعى أنوشتكين (١٣)، اشتراه أحد أمراء السلاجقة وعُمل ساقيا للسلطان السلجوقى ملكشاه (١٤) فظهرت منه نجابة وكفاءة فى عمله، فترقى فى المناصب حتى وصل إلى وظيفة «الطشت دار» (١٥) وجريا للعادة فى مكافئة السقاة والحجاب والحراس بإقطاعات من الأرض، تم إقطاع انوشتكين إقليم خوارزم (١٦) وظل حاكما مخلصاً للسلاجقة حتى وفاته سنة ٤٩٠ هـ ونظراً لوفائه للسلاجقة عينوا ابنه قطب الدين محمد بن انوشتكين (١٧) على خوارزم وتلقب بلقب خوارزم شاه (١٨) وقام قطب الدين ببذل جهود جليلة فى إدارة شئون الإقليم، وقرب إليه أهل العلم والدين والصلاح ومن ثم عظم شانه، ونال منزله عظيمة عند الخوارزميين وعند سلاطين السلاجقة (١٩)، وعندما آلت سلطنة السلاجقة إلى سنجر (٢٠) «أقره على إقليم خوارزم، وقد أخلص خوارزم شاه للسلطان سنجر فقربه إليه واستمرت ولايته على خوارزم لأكثر من ثلاثين عاماً، لم يخرج فيها عن طاعة السلطان، وعمل على وحدة السلاجقة وترابطهم واستقرار الأوضاع فى إقليم خوارزم أيضاً، مما هيأ له أن يقوم بدور عظيم فى حماية الإقليم من غارات الترك (٢١) وظل على ولائه للسلاجقة حتى وفاته سنة ٥٢١ هـ وعرفاناً بالجميل قام السلطان سنجر بإسناد ولاية إقليم خوارزم إلى ابن خوارزم شاه، علاء الدين أتسز (٢٢)، الذى أظهر كفاءة عالية فى تثبيت دعائم حكم الإقليم ونشر الأمن فى البلاد، ومد ظلال الأمن وأفاض العدل، فقر به السلطان سنجر إليه واعتمد عليه وكان دائماً يستصحبه فى أسفاره وحروبه (٢٣). ويمكن تقسيم طبيعة العلاقة بين السلطان سنجر وأتسز على مرحلتين:

الأولى: سادت فيها الثقة والمودة بين الطرفين ،وأظهر خلالها أتسز إخلاصا كبيراً للسلطان السلجوقى، وزاد هذه العلاقة قوة عندما أخمد أتسز المؤامرة التى تعرض فيها السلطان سنجر للقتل فى ٥٢٤ هـ عندما هجم عليه جماعة من أنصار والى سمرقند محمد أرسلان خان، فقبض أتسز عليهم وأنقذ السلطان من شرهم (٢٤)، وفى هذه الحادثة قد زادت من ثقة السلطان فى أتسز وجعلته يعتمد عليه فى حروبه التى خاضها ضد ابن أخيه مسعود سنة ٥٢٦ هـ (٢٥) وتمتد مرحلة الود هذه من سنة ٥٢١-٥٢٩ هـ . ويبدو أن هذه الثقة الكبيرة كانت نقمة على أتسز إذا أثارت عليه حفائظ بعض رجال الدولة السلجوقية (٢٦)، فعملوا على بث العداوة بين السلطان وبين أتسز وكانت هذه العداوة بداية المرحلة الثانية فى العلاقة بين الطرفين، وتمتد هذه المرحلة من سنة ٥٣٠-٥٥١ هـ - وهى السنة التى مات فيها أتسز وهذه المرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة العداء الصريح بين الجانبين، فقد قام جماعة من المقربين للسلطان سنجر بالعمل على التفريق والعداوة بين الطرفين، ولما أحس أتسز بتغير السلطان نحوه، عاد إلى خوارزم وأعلن العصيان، وقرر تأسيس دولة مستقلة له فى إقليم خوارزم، وعمل أيضاً على توسيع رقعة دولته على حساب السلاجقة، وهذه الفترة هى التى دارت خلالها المراسلات مع الخلافة العباسية، والتى كان على رأسها الخليفة المقتفى وقد شهدت هذه الفترة معارك طاحنة بين خوارزم شاه أتسز والسلطان السلجوقى (٢٧).

وانتهت معظم هذه المعارك لصالح السلاجقة، إلا أن أتسز كان يسارع بالاعتذار وإعلان الولاء للسلاجقة، ثم يعود مرة أخرى إلى عصيانه(٢٨)، ورغم أن السلطان سنجر كان يعلم نوايا أتسز إلا أنه كان يؤثر الصلح نظرا لكثرة المعارك التي خاضتها الجيوش السلجوقية مع القوي المحيطة والمجاورة لها (٢٩) وهذه المعارك كانت فى جملتها تصب لمصلحة أتسز الذى ازداد موقفه قوة بعد انتصاره على السلاجقة سنة ٥٤٣ هـ،(٣٠) وكان من نتيجة ذلك أن قام السلطان سنجر بكتابة منشور لعلاء الدين أتسز يتضمن ولايته لخوارزم - معنى ذلك اعتراف السلطان باستقلال الإقليم وخضوعه لأتسز - وسير له الخلع، فبقى أتسز فى ولايته حتى وفاته سنة ٥٥١ هـ (٣١) وفى العام التالى توفى السلطان سنجر لتنتهى هذه العلاقة، إلا أن وفاة سنجر كانت إعلانا لنهاية قوة السلاجقة فى المشرق، فبدا الضعف يدب فى أوصالها، فى الوقت الذى قامت فيه القوى الجديدة المتمثلة فى البيت الخوارزمى لتأخذ دور السلاجقة فاستقلوا بالإقليم وبدأوا فى السيطرة على بعض أملاك السلاجقة حتى تآخمت أملاكهم مع أراضى الدولة العباسية، بل هددوا حاضرة الخلافة العباسية وحاولوا السيطرة عليها ولم ينجحوا فى ذلك وعادوا إلى بلادهم(٣٢).

المحور الثانى:

رسائل رشيد الدين الوطواط إلى الخليفة العباسى المقتفى لأمر الله

كاتب الرسائل هو محمد بن محمد بن عبدالجليل بن عبدالملك. . بن سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، رشيد الدين المعروف بالوطواط الأديب الكاتب الشاعر صاحب ديوان الإنشاء(٣٣) فى إقليم خوارزم.

من نوادر الزمان وعجائبه، وأفراد الدهر وغرائبه، أفضل زمانه فى النظم والنثر، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب وأسرار النحو والأدب، طار فى الآفاق صيته، وسار فى الأقاليم ذكره كان ينشئ فى حالة واحدة بيتا بالعربية وبيتا بالفارسية من بحر أخر ويمليهما معا (٣٤).

هكذا قال عنه أقرب الرجال عهدا به، وهو ياقوت الحموى ت ٦٢٦ هـ الذى أثنى على الرجل وذكر مقتطفات كثيرة من شعره ورسائله عندما ترجم له، كما أورد ياقوت أيضاً بعض مراسلات «الوطواط» مع فضلاء عصره فى عدة مواطن من كتابه «معجم الأدباء»(٣٥) وقد تفرد ياقوت بذكر ترجمة الوطواط وعنه أخذ السيوطى فى البغية، والحاج خليفة فى كشف الظنون

ولد رشيد الدين فى مدينة بلخ(٣٦)، ما بين سنتى ٤٨٠، ٤٨٧ هـ (٣٧) وبلخ آنذاك من أعظم مدن خراسان إذا امتازت بكثرة مدارسها وجوامعها ومكتباتها التى كانت مقصدا للفضلاء والعلماء (٣٨) وكان رشيد الدين صغير الجسد، ضعيف البنيان، وربما أطلق عليه الوطواط لأجل ذلك، يقول دولتشاه: أنه كان ضئيل الجثة حاد اللسان ولذلك أسموه الوطواط وهو طائر معروف فى الفارسية باسم فرستوك (٣٩،) أما عن نشأة الوطواط العلمية فقد التحق بنظامية بلخ (٤٠) وكان شيخه الإمام أبو سعد الهروى (٤١) الذى أكثر رشيد الوطواط من ذكره، معترفا بفضله، وقد سجل الوطواط ذلك فى إحدى رسائله لشيخه وذكر فيها سوابق أياديه، وجعل نفسه رهنا لحقوق أستاذه ومربيه(٤٢) وبعد أن فرغ الوطواط من تحصيل مرحلته العلمية فى بلخ، وبرغ خلالها فى الإنشاء باللغتين العربية والفارسية رحل إلى خوارزم والتحق بخدمة ملكها « أبو المظفر علاء الدولة أتسز بن قطب الدين محمد خوارزمشاه» وظل إلى أخريات عمره فى خدمة ملوك خوارزم إلى أن ادركته الوفاة سنة ٥٧٣ هـ (٤٣). ولما كان أتسز قد ولى خوارزم بعد أبيه فى سنة ٥٢١ هـ فإن رشيد الدين التحق به فى نفس التاريخ إذ أنه أشار فى أحد قصائدة عندما أقصى لفترة قليلة عن خدمة أتسز سنة ٥٤٨ هـ – أنه أمضى ثلاثين سنة فى خدمته(٤٤).

تولى رشيد الدين رئاسة دار الإنشاء – ديوان الإنشاء – طوال مدة حكم أتسز على خوارزم، باستثناء الفترة التى أقصى فيها، ثم فى فترة أبناء أتسز حتى قبيل وفاته سنة ٥٧٣ هـ، وكان فى نفس الوقت كاتبه الخاص وأكبر كتاب الدولة ومستودع سر أتسز فقد كان صاحبه فى سفره وحضره، وكانت المودة والألفة مؤكدة وثيقة، محكمة الأساس بينه وبين مولاه، وكان

أتسز يحس بكثير من المتعة فى محاورته مع كاتبه ولم يكن يبتعد عنه ساعة من الساعات حتى أنه أمر ببناء قصر له مجاور لقصره فكان يتحدث معه من خلال النوافذ(٤٥).

وقد عاش الوطواط بجور أتسز إبان عهد المودة مع السلاجقة ٥٢١-٥٣٠ هـ وإبان فترة العداء بينهما واستخدم الوطواط بلاغته وأدبه فى الدفاع عن أتسز ، وفى رده على السلاجقة(٤٦).

ومن الأمثلة التى تدل على ذلك وتبين إلى أى حد كان الوطواط يستخدم بلاغته وأسلوبه ما دار إبان حصار السلطان السلجوقى سنجر لقلعة هزارسب سنة ٥٤٣ هـ مع أنورى شاعر السلطان (٤٧)، وتدل ردود الوطواط فى هذه المواقف على مدى ما تمتع به من قريحة أدبية، مكنته أن يكون اللسان الناطق والمعبر عن أتسز وإقليم خوارزم.

من أهم المجالات التى برع فيها الوطواط، مراسلاته الأدبية التى تعبر عن طبيعة عصره وهذه المكاتبات كان يرسل بها الوطواط إلى كبار أدباء وعلماء وفضلاء عصره، وذلك فى أسلوب أدبى رفيع، وتعطى رسائل الوطواط مع رجال زمانه صورة واقعية عن طبيعة علاقة العلماء مع بعضهم البعض (٤٨) فمن جملة مراسلاته ما أورده ياقوت الحموى فى إحدى كتاباته لأبى القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشرى (٤٩) وفيها:

لقد حاز جار الله دام جماله فضائل فيها لا يشق غباره
تجدد رسم الفضل بعد اندارسه بآثار جار الله فالله جاره

أنان من لفظتى الأقدار من أوطانى ومعاهد أهلى وجيرانى، إلى هذه الخطة التى هى اليوم بمكان جار الله أدام الله دولته جنة للكرام، وجنة من نكبات الأيام، كانت قصوى منيتى وقصارى بغيتى أن أكون أحد الملازمين لسدته الشريفة، التى هى مخيم السيادة، ومقبل أفواج السادة من القى فيها عصاه حاز فى الدارين مناه، ونال فى المحلين مبتغاه، ولكن سوء التقصير، أو مانع التقدير حرمنى تلك الخدمة وحرم على هذه النعمة، والآن أظن، وظن المؤمن لا يخطئ، أن آفل جدى هم بالإشراق، ودابل إقبالى أقبل على الإيراق، فقد أجد فى نفسى نورا مجددا يهدينى إلى جنته ومن شوقى داعيا موفقا يدعونى إلى حضرته (٥٠).

هذا غير باقى المراسلات المتنوعة إلى علماء زمانه فى بلاد ما وراء النهر ودار الخلافة العباسية وكبار رجال الدولة فيها (٥١).

مؤلفات الوطواط :

ذكر صاحب معجم الأدباء جملة من مصنفات الوطواط نذكر منها: حدائق السحر فى دقائق الشعر - باللغة الفارسية (٥٢) وديوان شعر، وديوان رسائل عربى (٥٣) وديوان رسائل فارسى وكتاب تحفة الصديق من كلام أبى بكر الصديق «رضى الله عنه» وفصل الخطاب من كلام عمر بن الخطاب «رضى الله عنه» وغير ذلك (٥٤) أما المراسلات موضوع هذه الداسة

فجاءت ضمن مكاتبات الوطواط ضمن مجموعة رسائله وقد دارات هذه المكاتبات خلال الفترة الممتدة من سنة ٥٣٩: سنة ٥٥١ هـ وهى تلقى الضوء على طبيعة الأوضاع بين خوارزم والخلافة من ناحية، وتوضح أهم الأحداث التى نشبت بين خوارزم والسلاجقة، وكما أسلفنا فإن الفترة من ٥٣٠ – ٥٥١ هـ تميزت فى مجملها بالعداء المستحكم بين السلاجقة وخوارزم وشهدت المنطقة عدة معارك بين الجانبين وبلغ مجموع الرسائل الموجه إلى الخلافة العباسية خمس رسائل.

ولعل الدافع الأساسى لهذه المراسلات أن أتسز أراد إضفاء الشرعية اللازمة لحكمه من خلال موافقة الخليفة على استقلال الإقليم، فهو قد أعلن العصيان على السلاجقة ولم يكن له قنوات اتصال بالخلافة لأن ولاءه كان للسلطان السلجوقى، فلما تباينت الأهداف أراد أتسز أن يحصن نفسه بموافقة الخليفة على استقلاله، واستغل أتسز ضيق الخلافة من تصرفات بعض سلاطين السلاجقة – والتى نوهنا عن بعضها فيما سبق – فكاتب الخلافة ليجد العون الصادق لتحقيق أهدافه وأهداف الخلافة أيضاً التى سعت للعمل على إضعاف قوى السلاجقة.

على كل حال فهذه المراسلات تلقى الكثير من الضوء على الأحداث التى دارت فى خوارزم آنذاك وتكشف كذلك عن الأحداث التى تعرض لها سلطان السلاجقة والقوى الخارجية التى شاركت فى الأحداث التى دارت هناك.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدافع وراء هذه الرسائل:

قبل أن نتناول هذه الرسائل بالتحليل من الناحية التاريخية، ينبغى أن نشير بداية إلى الدافع الذى أدى بأتسز لمكاتبة دار الخلافة. فالمعلوم أن العلاقة بين إقليم خوارزم والخلافة العباسية قبل هذه الرسائل، كانت داخلة فى نطاق علاقة السلاجقة بالخلافة، لأن خوارزم إقليم تابع للسلاجقة، تدين بالولاء للسلطان السلجوقى فعلاقتها بهذه الصورة مع الخلافة العباسية كانت نفس علاقة السلاجقة بالخلافة.

أما الدافع وراء هذه الرسائل فيكمن فى المتغيرات التى شهدتها العلاقة بين أتسز، والسلطان السلجوقى سنجر، فقد طرأت عدة متغيرات سلبية بينهما وصلت إلى العداء والاقتتال بين الفريقين ففى سنة ٥٣٣ هـ ذكر أبن الأثير أنه فى شهر محرم من هذه السنة سار السلطان سنجر إلى خوارزم شاه أتسز بن محمد، وسبب ذلك: أن سنجر بلغه أن أتسز يحدث نفسه بالامتناع عليه، وترك الخدمة له، وأن هذه الأمر قد ظهر على كثير من أصحابه وأمرائه، فأوجب ذلك قصده وأخذ خوارزم شاه أتسز فجمع عساكره وتوجه نحوه...(٥٥). فمن خلال هذه النص الذى أورده أبن الأثير يظهر أن السبب الرئيسى الذى أدى للقتال بين الجانبين يرجع إلى أن السلطان ساوره الشك نتيجة لما علم – أن أتسز يريد أن يخرج عليه، فأوجب ذلك قتاله، ورغم أن أتسز منذ أن ولى خوارزم سنة ٥٢١ هـ

لم يفكر فى هذا الأمر ، إلا أن غضب السلطان على أتسز ، وسعى الوشاة للسلطان بذلك أدى للقتال.

على كل حال فالقتال الذى دار فى سنة ٥٣٣ هـ قد أنتهى بهزيمة أتسز وفراره فقام سنجر بإقطاع الإقليم إلى غياث الدين شاه ولد أخيه محمد ، ورتب له وزيرا ، وإتباعا وحاجبا وعاد إلى مرو فى جمادى الآخرة من نفس السنة ، فكانت فرصة أتسز لدخول خوارزم وطرد جند السلطان منها - خاصة أن أهالى خوارزم كانوا يكرهون جند السلطان السلجوقى - فعملوا على مساعدة أتسز - وبعد أن ثبت أتسز فى موقعه جرد جيشا وحارب به السلاجقة ودخل خراسان واستباحها وكان ذلك فى سنة ٥٣٦ هـ (٥٦) ثم كانت الموقعة التى حاصر فيها السلطان قلعة هزاراسب وهى الموقعة ألتى وردت فى ثنايا الرسالة الأولى خلال سنة ٥٣٨ هـ والتى انتهت باعتذار أتسز للسلطان سنجر.(٥٧)

من ناحية أخرى كان أتسز يعلم أن الخلافة ضاقت بتصرفات السلاجقة نتيجة لعملهم على إضعاف الخلافة ، وتجريد الخليفة من وسائل القوة حتى للدفاع عن نفسه ، وقد ظهر هذا الأمر واضحاً إبان خلافة المقتفى الذى تم تجريد قصره من الأثاث ومطالبته المستمرة بالأموال ، ذكر السيوطى أن السلطان مسعود بعد أن أظهر العدل ومهد بغداد أخذ جميع ما فى دار الخلافة من دواب وأثاث وذهب وستور وسرادق ، ولم يترك فى إصطبل الخلافة سوى أربعة أفراس وثمانية بغال برسم الماء . «ثم أورد كلاما للمقتفى فى رده على مسعود عندما طالبه ببعض الأموال حيث قال «ما رأينا أعجب من أمرك! أنت تعلم أن المسترشد سار إليك بأمواله فجرى ما جرى وأن الراشد ولى ففعل ما فعل ، ورحل وأخذ ما تبقى ولم يبق إلا الأثاث ، فأخذته كله وتصرفت فى دار الضرب ، وأخذت التركات والجوالى فمن أى وجه حق نقيم لك هذا المال؟ وما بقى إلا أن نخرج من الدار ونسلمها ، فإنى عاهدت الله إلا أخذ من المسلمين حبة ظلما (٥٨) فهذه الأمور قد أدت إلى كراهية الخلافة للسلاجقة ، ومن ثم تلاقت أهداف أتسز والخلافة فى إضعاف السلاجقة ، أو القضاء على سيطرتهم وهو ما وضح فى ثنايا هذه الرسائل.

أما النطاق التاريخى الذى دارت خلاله هذه المراسلات فهو بعد عام ٥٣٨ هـ ، حيث ورد فى الرسالة الأولى وصف للمعارك التى دارت بين السلاجقة وأتسز حول قلعة هزاراسب.

أما الهدف الرئيسى من هذه الرسائل فقد بدا واضحا ما ورد فى آخر الرسالة الأولى أن أتسز يريد أن يستقل بخوارزم وأن يلى أمرها كولاية تابعة للخلافة ، تأخذ شرعيتها من الخليفة العباسى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المحور الثالث:

تحليل الرسائل ومقارنتها بما ورد فى المصادر التاريخية المعاصرة

تحليل نص الرسالة الأولى

تضمنت الرسالة الأولى بعد حمد الله سبحانه وتعالى والثناء عليه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم الدعاء للخليفة وذكر مآثر وجهود خلفاء العباسيين العديد من النقاط نجملها فيما يلى:

أولاً: حرص أتسز على إثبات الخضوع والولاء الكامل للخليفة، ولهذا لم يرد ذكر اسمه صراحة فى هذه الرسائل، وإنما يذكر اسم العبد، للدلالة على إثبات ولائه للخلافة.

ثانياً: تحدث أتسز بعد ذلك عن الجهود العظيمة التى قام بها آباؤه، فى التزامهم لمذاهب السداد، والمحاماة عن خطة الدين وبيضته، وخاصة حال أبيه قطب الدين محمد خوارزم شاه، الذى عاش ثمانين سنة كان فى أغلبها يوقف أمواله ويصرف أعماله على تمهيد قواعد الخيرات وتشييد أركان الحسنات.

ثم ذكر الدور الجهادى لوالده (٥٩) فى جهاد الترك ومواطن الشرك، حتى نام أهل خراسان وخوارزم مطمئنين آمنين فى أنفسهم وبيوتهم، كما كان مدة حياته أمينا ومدافعا عن آل سلجوق.

ثالثا: الإشارة إلى تولية أتسز مكان والده بعد وفاته فى سنة ٥٢١هـ وأنه قام مقام والده وسد مسده وركب مركبه وذهب مذهبه، وهى إشارات لمدى إخلاص أتسز مع السلاجقة كما كان والده، وأيضا لتوضيح دوره الجهادى والبطولى فى الذب عن المسلمين والدفاع عنهم وملازمته للسلاجقة وحمايته لهم.. ولو سأل سائل عن موقف العبد فى مساعدتهم، ووقائعه فى معاضدتهم لحكتها خطة جند (بلد على نهر سيحون) وروتها بقعة سمرقند، وخبرت بها أرض العراق، وحدثت عنها الآفاق (٦٠).

رابعا: ذكر أتسز بداية الشقاق مع السلطان سنجر، فبعد أن استمرت العلاقة حوالى تسع سنوات على أحسن حال، ظهر التغير والتبدل.. ولما حان وقت المجازاة قابل هذا الذى هو أكبر تلك القبيلة سناً وحرمة وأعظم تلك العشيرة جاهاً وحشمة، حسنات العبد وأسلافه بما قابل من استئصال بقاعه، واستباحة دماء أتباعه وأشياعه، واحترام رعاياه الذين هم ودائع الله عند الرعاة، وأمانات الواجب صونها على الرعاة(٦١)، فأتسز يحكى للخليفة ما حدث من السلطان سنجر لرعاياه، فبعد ما أظهر الولاء والطاعة لسنجر، وكان ينتظر الجزاء الحسن نظير ما قدم، إلا أن ما حدث لأتباعه من قبل السلطان أدى به لإعلان العصيان على السلطان(٦٢)، فهذه وجهة نظر أتسز فى بيان سبب الشقاق بينه وبين السلطان.

إلا أن «ابن الأثير» يذكر فى السياق نفسه – فى حوادث سنة ٥٣٣ هـ أن السلطان سنجر سار إلى خوارزم لمحاربة أتسز، وسبب ذلك أن سنجر بلغه أن أتسز يحدث نفسه بالامتناع عليه، وترك الخدمة له، وأن هذا الأمر قد ظهر على كثير من أصحابه وأمرائه، فأوجب ذلك قصده(٦٣). وقد انتهت هذه الواقعة باعتذار أتسز وطلب العفو من السلطان سنجر الذى وافق على ذلك(٦٤) ومن خلال ما أورده أتسز فى رسالته الأولى إلى الخليفة، وما ذكره ابن الأثير يمكن القول بأن أتسز رأى أن مكانته قد انخفضت عند السلطان، ففكر فى الخروج عليه والاستقلال بما تحت يده، ولو كان ذلك على حساب أملاك السلطان السلجوقى، وربما عجل بذلك ما حدث لبعض أتباعه من قبل رجال السلطان، إضافة إلى ذلك استغل أتسز ما تعرض له السلطان من هجوم من القبائل المجاورة وخاصة «الخطا»، فعمل على انتهاز هذه الفرصة لكى يستقل بالإقليم.

خامسا: تسلط الإسماعيلية، فيذكر أتسز بعد ذلك ما أحدثه الإسماعيلية – الباطنية (٦٥) بالسلاجقة، ويلمح فى نبرة لا تخلو من المتشفى إلى أن ما حدث للسلاجقة يعد عقابا لما فعلوه مع أتباعه، ولا ينسى أن يذكر الخليفة بما حدث لكل من الخليفة المسترشد (٦٦)، والخليفة الراشد (٦٧) من قبل هذه الجماعة، وكأنه يحمل مسئولية ما جرى لهم على السلاجقة، إلا أن ما جرى من الإسماعيلية فى بلاد خراسان وما وراء النهر لم يسلم منه أحد.

وصفوة القول بالنسبة للإسماعيلية أن الفترة السابقة لهذه الرسائل والمعاصرة لها، شهدت تسلطا كبيرا من قبل هذه الطائفة فى خراسان وما وراء النهر، وقد ذكر غير واحد من المؤرخين لهذه الفترة الكثير من البلايا التى أصابت السلاجقة وغيرهم من المسلمين على أيدى هذه الجماعة نذكر منها:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١- فى ٥٢١ هـ استشهد معين الملك وزير السلطان السلجوقى سنجر على يد الباطنية، مما ترتب عليه زيادة العداوة بين السلطان سنجر والإسماعيلية، وقاد السلطان بنفسه جيشا كبيرا لمحاربتهم(٦٨).

٢ – فى ٥٢٨هـ اجتمع مع العساكر السنجرية مع الأمير أرغن، وحصروا القلعة المسماة كردكوه بخراسان وهى للإسماعيلية – بعدما شغبوا على الأهالى – وضيقوا على أهلها، وطال حصرها وعدمت عندهم الأقوات، فأصاب أهلها تشبح، وكاد الأمير أن يفتح هذه القلعة لولا وصول مدد إلى حبسه الإسماعيلية داخل القلعة(٦٩)

٣- فى ٥٣٤ هـ قتل المقرب جوهر، وكان من أقرب المقربين إلى السلطان سنجر على أيدى الإسماعيلية (٧٠).

٤- وفي عام ٥٣٤ هـ أيضا قام الإسماعيلية بقتل الكثير من كبار عسكر السلطان سنجر، بعد أن احتالوا عليهم وارتدوا ملابس نسائية (٧١) وغير ذلك من الفظائع التى ارتكبتها هذه الجماعة ومما لا شك فيه أن ما قام به الإسماعيلية قد أثر تأثيرا كبيرا على السلاجقة، وأضعف قواهم، وكان ذلك من الدوافع التى جعلت السلطان سنجر يهادنهم، ريثما يستعيد قواه

ويخرجهم من بلاده، وقام بقتالهم عدة مرات، وأبلى فى هذا الشأن بلاء حسنا، إلا أن هزيمة سنجر ٥٤٨هـ من الغز أصاب السلاجقة إصابة بالغة، إذ سرعان ما وهنت قوتهم، فوجدت الإسماعيلية الفرصة وفرضوا سطوتهم على بعض أملاك السلاجقة بعد أن قتلوا الكثير من المسلمين، واستمروا كذلك حتى ٥٥٢هـ عندما اجتمع عليهم رستم بن على بن شهريار وحاصرهم فى قلعة الموت، وهجم عليهم وأحدث فيهم قتلا كثيرا، فأصابهم الوهن كنتيجة لهذا الهجوم، وقل بأسهم عن العباد(٧٢)

وخلاصة الأمر أن أتسز ظن أن ما قام به الإسماعيلية من جرائم ضد السلاجقة كان عقابا لهم ولاشك فى أنه غير مصيبا فى ذلك لأن هذه الطائفة كانت وبالا على المسلمين عامة، وكانت تستلزم توحد المسلمين وتجمعهم، للتخلص من شرورهم.

سادسا: تحدث أتسز بعد ذلك فى رسالته الأولى للخليفة عن الحرب التى دارت رحاها بين السلطان سنجر، الجيش الخوارزمى حول قلعة هزاراسب وهذه القلعة قد حاصرها السلطان سنجر لمدة خمسة أيام دون قتال، ثم دارت الحرب بين الفريقين عشرين يوما، قتل فيها العدد الكثير من الجانبين ولم ينته هذا القتال إلا بعد أن تم تخفيف الحصار من قبل سنجر، ثم رحيله عنها دون أن يحقق انتصارا كاملا على أتسز، واتجه السلطان – حسبما ذكر أتسز – للطواف فى القرى حتى ترك خوارزم دون أن يحقق مراده(٧٣).

وما أورده أتسز فى هذا الموضوع يتطابق بصورة ما مع ما ذكره المؤرخون المعاصرون وإن اختلفت نهايته عما ذكره أتسز فابن الأثير يذكر هذه الحادثة بقوله: إن السلطان سنجر سار بما كره إلى خوارزم، فجمع خوارزم شاه أتسز عساكره، وتحصن بالمدينة، ولم يخرج منها لقتال، لعلمه أنه لا يقوى على قتال سنجر، وكان القتل يجرى بين الفريقين من وراء السور، فاتفق فى أحد الأيام أن هجم أحد أمراء سنجر على الجانب الغربى من البلد، وكان مثقال التاجى – أحد أمراء سنجر – هجم من الشرق، فانهزم مثقال عند البلد، وبقى الأمير وحده، واستدفى حفظه، فلما رأى السلطان قوة البلد وامتناعه، عزم على العودة إلى مرو ولم يمكنه من غير قاعدة تستقر بينهما، فاتفق أن خوارزم شاه أرسل رسلا يبذل المال والطاعة والخدمة، ويعود إلى ما كان عليه من الانقياد، فأجابه إلى ذلك وأصلحا وعاد سنجر إلى مرو، وأقام خوارزم شاه بخوارزم(٧٤)

أما الحسينى، فذكر أن السلطان سنجر وصل لقلعة هزاراسب ورماها بالمنجنيقات وطال الحصار حتى استقر الأمر على أن يأخذ سنجر ما أخذه أتسز من مرو(٧٥) وأن يقف بإزاء السلطان من شرقى جيجون وينزل بحيث يرى ويقبل الفرض، وعاد سنجر إلى خراسان(٧٦) والشاهد فى الأمر أن الصلح الذى تم بين الطرفين قد أورده من أرخو لهذه الفترة إلا أن أتسز لم يتعرض لذكر هذا الصلح فى رسالته للخليفة، فهو لا يريد أن يظهر أمام الخليفة بالضعف.

على كل حال فهذه ليست المرة الأولى التى يعرض فيها أتسز الصلح على السلطان ويسعى إليه، فقد سبق له الاعتذار فى سنة ٥٣٣ هـ عن بعض أفعاله (٧٧).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويبدو أن السلطان قد يأس من إصلاح أتسز، وعلم أنه لن يعود إلى سابق عهده إلا أنه وافق على الصلح، لكيلا يفتح على نفسه جبهات عديدة أخرى، خاصة أن قبائل الخطا كانت تترقب هذه الأحداث لكى تثب على أملاك السلطان والإسماعيلية تقف للسلطان بالمرصاد، فيبدو أن السلطان أثر تهدئة الأمور مع أتسز، ورضى بالاعتذار المقدم منه، وعاد إلى خراسان.

سابعا: موقعة ٥٤٢هـ بين أتسز والسلطان سنجر.

ثم يتابع أتسز سرد باقى الأحداث للخليفة ويذكر ما حدث مع السلطان فى آخر مواقعه معه، وهى الحرب التى نشبت بين الطرفين سنة ٥٤٢ هـ فأتسز قد استشار العلماء والفقهاء لكى ينازل السلطان، فأقروه على ما نوى عليه، فعقد العزم على خوض القتال مع السلطان وهى الموقعة الأخيرة بين الجانبين والتى راح ضحيتها مالا يحصى عدده من الجنود ويبدو أن سير هذه المعركة كان فى صالح السلطان أيضا إذا استولى على قلعة هزاراسب بعدما حاصرها لمدة شهرين(٧٨) إلا أن المعركة فى نهاية الأمر لم تنته لصالح أحد الطرفين بصورة كاملة بل انتهت كسابقتها بالصلح بين الطرفين بعد أن قام أتسز بالاعتذار للسلطان سنجر الذى أصابه الملل من كثرة حروبه مع أتسز، فعاد إلى خراسان وقد استقر رأيه على الاعتراف بأتسز واليا مستقلا على خوارزم.(٧٩)

وكان هذا الاعتراف من السلطان سنجر تصرفا عاقلا، لأنه أدرك أن أتسز لن تصفو نفسه له، كما أن إقليم خوارزم بذلك يشكل حائطا منيعا بينه وبين قبائل الخطا فأراد سنجر أن يعيد استقرار جيشه ريثما يتهيأ له الوقت المناسب لمقاومة أعدائه وهزيمتهم إلا أن الأمور التالية لذلك لم تكن فى صالح السلاجقة ففى سنة ٥٤٨ هـ تعرض السلطان سنجر وجيشه لهزيمة قاسية من الغز(٨٠) ووقع أسيرا لديهم حتى استطاع أن يهرب من أسره بعد وفاة زوجته تركان خاتون.(٨١)

ولاشك فى أن هذه الهزيمة أثرت تأثيرا كبيرا فى كيان الدولة السلجوقية إذ تعرضت مرو ونيسابور وغيرها من أمهات المدن إلى هجمات متتالية من الغزو فى نفس الوقت حاول السلطان جمع شتات جنده وتكوين جيش جديد إلا أن الأحوال التى وجدها فى البلاد أصابته بالغم والهم والمرض إلى أن توفى سنة ٥٥٢هـ (٨٢)، على كل حال فإن الرسالة تعرضت فى أحد أجزائها لما دار بين السلطان وأتسز فى موقعة سنة ٥٤٢ هـ مع ذكر بعض المبالغات التى تظهر قوة جيش خوارزمشاه، وقد وضحنا ما انتهت إليه هذه الموقعة التى يمكن أن نقول عنها أنها كانت بداية النهاية لقوة السلاجقة التى انهارت بعدما حدث لها من هزيمة أمام الغز.وبذلك تهيأت الفرصة المناسبة لأتسز لكى يقوم بأمر خوارزم ويعمل على تثبيت دعائمها لتكون القوة الجديدة والبديلة عن السلاجقة.

ثامنا: أتسز يطلب مرسوما بولايته على خوارزم.

بعد أن استعرض أتسز الأحداث التى دارت بينه وبين السلطان سنجر وصل من خلال هذه الرسالة إلى مبتغاه الذى يتمثل فى طلب مرسوم من الخليفة يقره فيه على خوارزم لإضفاء

الشرعية اللازمة لهذه الولاية، والتى تمثل الخلافة الجهة الشرعية لإصدار مثل هذا المرسوم كما أن أتسز رأى أن يملأ الفراغ السياسى فى المنطقة الذى نتج عن ضعف السلاجقة فنراه يقول فى آخر الرسالة الأولى..

ويرجو العبد من حسنات تلك الحضرة الزاهرة أن يصدر عنها باسمه، منشور برسمه على ولاية خوارزم جانبيا: شرقيها وغربيها وما ينضاف إليها وينعطف عليها من بلادها وجبالها وقفارها.. بالتوقيع بالإشراف الأعلى ليكون ذلك مرغمة لأنوف الحاسدين ومكسرة لقلوب القاصدين وتنقطع بيمن ذلك العهد أطماع العدو من ديار العبد وبلاده وتندفع عنها أسباب شره وفساده(٨٣)

وهكذا يختم أتسز رسالته الأولى للخلافة بطلب منشور رسمى بولايته لكى يستطيع صد الأعداء عن مهاجمة بلاده وليكون عونا لأمير المؤمنين فى هذه البلاد.

تحليل الرسالة الثانية

أما الرسالة الثانية التى بعث بها أتسز للخليفة المقتفى فقد جاءت مختصرة قياسا بالرسالة الأولى. فقد بدأها أتسز بحمدالله والثناء عليه وبالصلاة على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ثم تناول ما يلى:

أولا: حرص أتسز على تقديم فروض الولاء والطاعة واجتهد فى الدعاء للخليفة ولإثبات طاعته له وأكد على ذلك بذكر كلمة العبد بدلا من اسمه.

ثانيا: ابدى أتسز اعتذاره الشديد عن عدم تمكنه من زيارة مقر الخلافة ورؤية الخليفة، بسبب العوائق التى تعترضه فى خوارزم ويأتى فى مقدمتها: أن خطة العبد لصيقة ببلاد الشرك من ديار الترك والعبد فى أكثر أوقاته وأغلب حالاته مشغول بمحاربة أعداء الدين، ومقارعة أحزاب الشياطين للذب عن الإسلام(٨٤).

فأتسز بهذا الكلام يوضح للخليفة صعوبة موقفه فى خوارزم بسبب تربص الأعداء به وهم قبائل الخطا الوثنية المجاورة لإقليم خوارزم، فرغم السياسة السلمية التى كانت سائدة بين الطرفين إبان حرب أتسز وسنجر ٥٣٣ هـ إلا أن الخطا بعد أن استطاعوا هزيمه السلطان سنجر فى موقعة قطوان سنة ٥٣٦ هـ (٨٥) اشتد أمرهم فى السنوات التالية، ولم يصبحوا قوة متحالفة مع أتسز بل أصبحوا خطرا حقيقيا عليه، فقد بسطوا سلطانهم على بلاد ما وراء النهر، وأصبحوا مجاورين لإقليم خوارزم ويهددون أمنه ويطمعون فى أراضيه واتجهوا بالفعل إلى الأ ٔ راضى التابع لخوارزم والواقعة غرب نهر جيجون وهددوا بقوة مدن سرخس ومرو ونيسابور، ونهبوها، وذلك دفع خوارزم شاه إلى دفع جزية سنوية قدرها ثلاثين ألف دينار، بالإضافة إلى مجموعات من الخيل والماشية وبذلك أمن أتسز هذا الجانب، إلا أنه لا يستطيع ترك الإقليم خشية عودة الخطا. واستمرت سياسة المهادنة مع الخطا حتى وفاة أتسز سنة ٥٥١هـ ولم تحرر بلاد ما وراء النهر منهم إلا فى سنة ٦١٢ هـ على يد علاء الدين محمد بن تكش(٨٦)

ثالثا: تضمنت الرسالة بعد ذلك الشكر الجزيل للخليفة لأنه خلع على العبد وأقره على ما تحت يده وبذلك تحقق هدف أتسز وأصبح واليا مستقلا على الإقليم، يدين بالولاء للخلافة فقد اعترفت الخلافة بحكمه وأقرته على ما تحت يده، وهذا ما كان يسعى إليه، وقد اتضح ذلك فى قول أتسز.. وأما الخلع الحاصلة للعبد والتشريفات الواصلة إليه من المواقف المقدسة قدسها الله، فقد هزت عطفه وشدت من أزره، وأطلعت نجوم فجره بعد أفولها، وكللت رياض عيشه بعد ذبولها وعرضها العبد على كل حاضر وباد ونادى عليها فى كل محفل وناد، ولم يبق أحد من أئمة خوارزم وعلمائها وخطبائها إلا دعا للمواقف المقدسة على ذرى الأعواد(٨٧)

فهو يصف السعادة الغامرة التى عمت خوارزم من هذا الخلع ويشكر الخليفة على جميل صنعه، ويلاحظ أن أتسز فى هذه الرسالة لم يتطرق إلى أى أحداث بينه وبين السلاجقة مما يدل على هدوء الأوضاع بينهما وأن هذه الرسالة كتبت بعد سنة ٥٤٣ هـ، بعدما أقر سنجر باستقلال أتسز فى خوارزم(٨٨).

حول الرسالة الثالثة والرابعة

فى الرسالة الثالثة نجد أن أتسز كرر – بعد المقدمة – معظم ما أورد فى الرسالة الثانية وأهم النقاط التى اشتملت عليها الرسالة الثالثة: –

١– أوضح أتسز ولاءه التام للخليفة العباسى المقتفى لأمر الله، وأشار إلى جهاد خلفاء بنى العباس، ودورهم فى الدفاع عن ديار الإسلام.

٢– أشار أتسز بعد ذلك إلى عدم تمكنه من زيارة الخليفة، واعتذر بشدة عن ذلك بسبب موقع إقليم خوارزم المتاخم للأعداء».. فخوارزم حماها الله ثغر واقع فى نحر الكفر وراءها أعداء من الكفار شداد الأنياب، حداد الأظافر، والعبد يغزوهم كل سنة كرتين فى فصلين مختلفين(٨٩).

٣– فأتسز يشير إلى الأهمية الحيوية لإقليم خوارزم، كثغر مهم من ثغور الإسلام، ووجوده فى الإقليم أمر ضرورى، بسبب تربص الأعداء به، خاصة بعد الضعف العام الذى أصاب السلاجقة.

ثم يختم أتسز هذه الرسالة بالدعاء للخليفة، وأنه طوع أمره فيما يطلبه منه.

أما الرسالة الرابعة:

فجاء مضمونها مطابقا للرسالة الثالثة من حيث إثبات الولاء والطاعة للخليفة، ثم بيان أهمية إقليم خوارزم وحرص خوارزم على التواجد هناك، ثم اعتذاره عن عدم زيارة الخليفة. وأشار أتسز فى هذه الرسالة إلى أنه انتهز الفرصة المناسبة فى ذلك العام وقام أداء حجة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإسلام، ثم عاد مسرعا إلى خوارزم، ولم تتعرض الرسالتان لأى أحداث مع السلاجقة مما يدل على استمرار الهدوء بين الطرفين.

الرسالة الخامسة

أما الرسالة الخامسة والأخيرة التى كتبها أتسز للخليفة المقتفى فقد تضمنت – بعد المقدمة – العديد من النقاط المهمة والتى تتمثل فيما يلى:

أولا: كرر أتسز بيان أهمية إقليم خوارزم، كثغر معروف من ثغور الإسلام، وقصر معمور من قصور الشرائع والأحكام، ثم بين ما يقوم به من دور جهادى للدفاع عنها، وأنه لم يأل جهدا فى سبيل حمايتها، والزود عنها، وأنه فى سبيل تأمينها يتوغل فى بلاد الشرك، وفى بحبوحة ديار الترك، لصيانة مواطن المسلمين من مكائدهم(٩٠).

وأتسز يسوق هذه المبررات فى إطار اعتذاره للخليفة، لأنه لم يتمكن من زيارته، وهو محق فى ذلك، بسبب الأوضاع العامة التى كانت سائدة هناك، فقبائل الخطا تنتهز أى فرصة للانقضاض على أطراف خوارزم، بل تحاول أن تسيطر على الإقليم بأسره، لذا كان من الضرورى أن يظل أتسز فى الإقليم لحماية خوارزم(٩١).

ثانيا: أشار أتسز بعد ذلك إلى ما حل بخطة خراسان التى هى سرة بلاد إيران، واستيلاء العصاة عليها إضافة لما أصاب بلاد ما وراء النهر، التى هى غرة ديار نوران، من استعلاء الطغاة، فعذب الراكع والساجد، وخربت المدارس والمساجد، وسفكت الدماء المحرمة، وأهلكت النفوس المكرمة، حتى مالت دعائم الدين..(٩٢)

وأتسز فى هذا الجزء من الرسالة يصف الكوارث التى حلت بخراسان، وبلاد ما وراء النهر، وما عاناه المسلمون هناك: وتفصيل هذا الأمر حسبما أورده أبن الأثير فى أحداث سنة ٥٤٨ هـ – والذى جاء مطابقا مع ما ذكره أتسز فى رسالته:

«فى هذه السنة فى المحرم انهزم السلطان سنجر من الأتراك الغز، وهم طائفة من الترك مسلمون، كانوا بما وراء النهر، فلما ملك الخطا – الوثنيين – أخرجوهم منه، فقصدوا خراسان، وكانوا خلقا كثيرا، فأقاموا بنواحى بلخ، يرعون فى مراعيها.. فأراد مقطع بلخ إبعادهم، فصانعوه بشىء بذلوه له، فعاد عنهم فأقاموا على حالة حسنة، لا يؤذون أحدا، ثم إن قماج مقطع بلخ أمرهم بالخروج عن بلده، فامتنعوا وانضم بعضهم إلى بعض، واجتمع معهم غيرهم من طوائف الترك، فسار قماج إليهم فى عشرة آلاف فارس، فجاء إليه أمراؤهم، وسألوه أن يكف عنهم، ويتركهم فى مراعيهم، ويعطونه من كل بيت مائتى درهم، فلم يجيبهم إلى ذلك، وشدد عليهم فى الانتزاح عن بلده، فعادوا عنه واجتمعوا، وقاتلوه فانهزم قماج، ونهبوا ماله ومال عسكره، وأكثروا القتل فى العسكر والرعايا، واسترقوا النساء والأطفال، وعملوا كل عظيمة، وقتلوا الفقهاء، وخربوا المدارس، وانتهت الهزيمة بقماج إلى مرو، وبها السلطان

سنجر، فأعلمه الحال، فراسلهم سنجر بتهديدهم وأمرهم بمفارقة بلاده، فاعتذروا وبذلوا بذلا كثيرا ليكف عنهم، ويتركهم فى مراعيهم، فلم يجبهم إلى ذلك وجمع عساكره من أطراف البلاد، واجتمع معه ما يزيد على مائة ألف فارس وقصدهم، ووقع بينهم حرب شديدة، فانهزمت عساكر سنجر وانهزم هو أيضا، وتبعهم الغز قتلا وأسرا، فصار قتلى العسكر كالتلال، وقتل قماج، وأسر السلطان سنجر، وأسر معه جماعة من الأمراء، فأما الأمراء فضربوا أعناقهم، وأما السلطان سنجر فإن أمراء الغز اجتمعوا وقبلوا الأرض بين يديه، وقالوا: نحن عبيدك، لا نخرج عن طاعتك فقد علمنا أنك لم ترد قتالنا، وإنما حملت عليه، فأنت السلطان، ونحن العبيد، فمضى على ذلك شهران أو ثلاثة ودخلوا معه إلى مرو، وهى كرسى ملك خراسان، وطلبها منه بختيار – أحد قادة الغز – إقطاعا، فقال السلطان هذا دار الملك، ولايجوز أن تكون إقطاعا لأحد، فضحكوا منه، وحنق له بختيار بغمه، فلما رأى ذلك نزل عن سرير الملك ودخل خانكاه مرو، وتاب عن الملك، واستولى الغز على البلاد، وظهر منهم من الجور ما لم يسمع بمثله، وولوا على نيسابور واليا، فقسط على الناس كثيرا وعسفهم وضربهم، وعلق فى الأسواق ثلاثة غرائز.

وقال: أريد ملء هذه ذهبا، فثار عليه العامة، فقتلوه ومن معه، فركب الغز ودخلوا نيسابور، ونهبوها نهبا مجحفا وجعلوها قاعا صفصفا، وقتلوا الكبار والصغار، وأحرقوا وقتلوا القضاة والعلماء فى البلاد كلها. ويعلق ابن الأثير على هذه الأفعال بقوله: ويتعذر وصف ما جرى منهم بتلك البلاد جميعا، ولم يسلم من خراسان شىء لم تنهبه الغز، غير هراة ودهستان، لأنها كانت حصينة فامتنعوا(٩٣)

ويبدو من رسالة أتسز وما رواه ابن الأثير مدى ما تعرضت له خراسان من تدمير طال كل شىء وكانت البلية الأخرى فى أسر السلطان سنجر.

ثالثا: نتيجة لهذه الأحداث أشار أتسز على الخليفة فى رسالته الخامسة، ضرورة توحد جميع المسلمين فهو يستنجد بالخليفة بصفته الرئيس الروحى لمعظم بلاد العالم الإسلامى، واقترح أتسز أن يكون هذا التوحد تحت راية أحد سلاطين المسلمين الاقوياء المؤمنين، وهو: السلطان الاعظم غياث الدنيا والدين أبو الشجاع محمود بن محمود بن ملكشاه– السلجوقى – قسيم أمير المؤمنين (٩٤). واقترح أتسز ورؤيته للأحداث كانت صائبة إلى حد كبير، إلا أن الشقاق الذى كان موجودا بين السلاجقة والسلطان محمد حال دون ذلك.

ولم ييأس أتسز من المحاولة الجادة التى عرضها للصلح بين الطرفين وتحدث عن سبب الشقاق وأرجعه إلى عاملين:

الأول: إما أن يكون الخصام من قبل السلطان، وفى هذه الحالة يقوم أتسز بإزالة السوء، وإعادة السلطان لجادة الصواب، ورده إلى طاعة المواقف المقدسة المكرمة، قدسها الله وكرمها، وخدمة المقار المشرفة المعظمة شرفها الله وعظمها(٩٥).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثانى: أما السبب الذى رأى أتسز أنه عامل فى خصام الخليفة والسلطان: تدخل أصحاب الأغراض السيئة الذين أوجدوا عند خدم المواقف المقدسة قدسها الله مجال التخليط والتضريب، فتمكنوا من اختراع الأباطيل وابتداع الأكاذيب، وذلك الأمر يرجى من كرم وعطف أمير المؤمنين مع السلطان، وألا يصغى الخليفة لمثل هذه الأقاويل(٩٦)

ومما لا شك فيه أن هذه المصالحة التى عرضها أتسز تحمل وجهة نظر سديدة، وهى حرصه على بلاد المسلمين والعمل على استقرار الأوضاع بها، بعدما رأى ما حل بالبلاد الإسلامية آنذاك، فالأحداث آنذاك كانت تستدعى هذا الصوت العاقل، لتوحد المسلمين تحت راية واحدة لمجابهة هذه الأخطار.

ورغم إلحاح أتسز الشديد على أهمية هذا الأمر وضرورته، إلا أنه لم ينتج عن شىء، بل حدث ما هو أسوأ، إذ قام السلطان محمد سنة ٥٥١ هـ بحصار مدينة بغداد وبالتحديد فى شهر ذى الحجة، أى بعد وفاة أتسز فى تاسع جمادى الآخرة سنة ٥٥١ هـ، نتيجة إصابته بالفالج(٩٧)

رابعا: ثم ختم أتسز رسالته بإظهار الولاء والطاعة للخليفة المقتفى، وأنه طوع أمره، ثم دعا للخليفة مع الرجاء بالعمل على تحقيق ما دعا إليه.

ويبدو من تتابع الأحداث أن رؤية أتسز التى عرضها فى الرسالة الخامسة كانت دقيقة، لذا نراه يلح فى طلب وحدة المسلمين، بعدما حل بخراسان وما وراء النهر، وبداية تصدع وانهيار البيت السلجوقى فى خراسان.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمرحلة التى يتحدث عنها أتسز كانت بين عامى ٥٤٨، ٥٥١ هـ وهذه الفترة نلمح خلالها تقاربا شديدا بين أتسز والسلاجقة بصفة عامة سواء فى خراسان أو فى العراق، بل كان هناك تحالفا عسكريا بين سلاجقة خراسان وخوارزم شاه أتسز والخاقان محمود بن محمد الذى ولى سلطنة سلاجقة خراسان بعد أسر خاله السلطان سنجر، كانا يقصدان الغز، فيقاتلانهم فيمن معهما، فكانت الحرب بينهم سجالا(٩٨)

وشاهد الأمر أن أتسز السلطان كان متضامنا مع السلاجقة، يحارب معهم العدو المشترك الذى عاث فى تلك البلاد فسادا، واستمر الأمر على ذلك إلى أن استطاع السلطان سنجر أن يتخلص من أسره فى رمضان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة أى بعد وفاة خوارزم شاه أتسز، الذى تميزت سنوات حكمه الأخيرة بالعمل على توحيد صفوف المسلمين.

الخاتمة

صفوة القول أنه من خلال استعراض هذه الرسائل، ومقارنتها بالروايات التاريخية الواردة فى المصادر المعاصرة يتبين ما يلى:

أولا: أوضحت الرسائل مدى التقارب الشديد بين كل من الخليفة العباسى المقتضى وخوارزم شاه أتسز وذلك لتلاقى أهداف الطرفين فى الحد من سطوة السلاجقة أو التخلص منهم، وأن العلاقة التى سادت بين الطرفين آنذاك كانت ودية إلى حد بعيد. بينت هذه الرسائل أن الخلافة العباسية كانت تحتفظ بقدر كبير من الهيبة فى نفوس المسلمين، فعلى الرغم من أن الخلافة كانت تعانى من فترات ضعف متتابعة إلا أن المحاولات الإصلاحية التى بذلت فى هذا الصدد كان لها دورا كبيرا فى استعادة أكبر قدر من هيبة الخلافة وقد شهدت تلك الفترة جهودا مخلصة من المقتفى لتحقيق ذلك الهدف.

ثانيا: أظهرت الرسائل أيضا أن الخلافة العباسية دعمت أتسز فى أهدافه، وقد وضح ذلك من خلال الإشارة الواردة فى الرسالة الثانية، والتى أقرت أتسز على ما تحت يده، وخلع عليه الخليفة الخلع، ومما يدل على عمق العلاقة بين خوارزم شاه أتسز ودار الخلافة تتابع الرسائل، ثم المكاتبات المعاصرة بين الوزير الوطواط وكبار رجال الدولة العباسية.

ثالثا: شهدت هذه الفترة أخطارا عظيمة من الطائفة الإسماعيلية، التى تسببت فى مقتل العديد من المسلمين، وكانت عاملا مهما فى ضعف السلاجقة والخوارزميين فى نفس الوقت.

رابعا: نلحظ أيضا من خلال هذه الرسائل مدى أهمية إقليم خوارزم كثغر حيوى من ثغور الإسلام، استطاع أن يقف أمام الأعداء المجاورين له وبخاصة قبائل الخطا والغز.

خامسا: وضحت هذه الرسائل مجمل المعارك التى دارت بين خوارزم والسلاجقة فى الفترة المحتدة من ٥٣٢ سنة إلى سنة ٥٤٢ هـ وقد حاول أتسز فى هذا الجانب إظهار قوته العسكرية أمام الخليفة وأنه وقف أمام السلاجقة موقفا بطوليا وهذا الجانب لا يخلو من مبالغة أتسز فى سرد هذه المواقع لأن معظمها كان فى صالح السلطان سنجر، وكانت تنتهى باعتذار أتسز وأسفه عما بدر منه.

سادسا: نوهت الرسائل بالأحداث الجسام التى ألمت بخراسان وما وراء النهر، بداية من ٥٤٨ هـ وهى السنة التى شهدت انهيار قوة السلاجقة وهزيمتهم من الغز، وأسر السلطان سنجر، وما تبع ذلك من اجتياح خراسان ومرد وغيرهما من أمصار العالم الإسلامى، التى كانت تمثل مراكز ثقافية وعلمية هناك.

سابعا: تضمنت الرسالة الأخيرة دعوة أتسز لوحدة المسلمين تحت قيادة واحدة، واقترح على الخليفة أن يتجمع المسلمون تحت راية السلطان محمد بن محمود السلجوقى، نظرا للأخطار العظيمة التى تحيط بالمسلمين، والتى تتطلب وحدة كاملة للوقوف أمامها.

ومما يدل على عمق العلاقة بين أتسز والخليفة العرض الذى تقدم به والمتضمن الوساطة بين السلطان والخليفة وعقد صلح بينهما، لكى تكون القوى الإسلامية متوجهة إلى هدف واحد إلا أن هذه الفكرة لم يكتب لها النجاح، فقد أصيب أتسز ومرض مرضا شديدا مات على إثره ٥٥١ هـ وفى نفس العام حاصر السلطان بغداد.

على كل حال فالرسائل المذكورة قد كشفت عن طبيعة العلاقة بين الخليفة وخوارزم شاه أتسز، وبينت إلى حد بعيد أهم الأحداث التى دارت آنذاك.

الهوامش

(١) شهد عام ٤٤٧ هـ دخول جيوش السلاجقة بغداد بعد أن أزال طغرلبك السلجوقى كل خطر يأتى من البويهيين وعمل على إزالتهم نهائيا من فارس والعراق، ودخل طغرلبك بغداد واستقبل بها استقلالا حافلا واعترف به الخليفة العباسى القائم بأمر الله سلطانا على جميع المناطق التى تحت يده.

عن هذه الأحداث راجع ابن الأثير (أبى الحسن على بن محمد بن محمد الشيبانى ت ٦٣٠هـ) الكامل فى التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولى، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م، ٨/٢٩٠.

(٢) الخليفة المسترشد بالله أبومنصور الفضل ابن الخليفة المستظهر ولى العهد وتمت مبايعته بالخلافة سنة ٥١٣ هـ واستمر إلى أن قتل سنة ٥٢٩ هـ كان المسترشد فاضلا وبدأ يعمل إبان خلافته على استرداد نفوذ وهيبة الخلافة العباسية وإسقاط نفوذ السلاجقة وأظهر عدم رضاه عنهم لسوء أفعالهم حيث قال: «فوضنا أمورنا إلى آل سلجوق فبغوا علينا فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون» قام المسترشد بأعمال إصلاحية فى المجتمع جعلت العلماء والفقهاء يؤيدونه فأغلق بيوت الفسق وحوانيت الخمر وتتبع المفسدين وقام ببناء سور بغداد لحمايتها من محاولات الاعتداء أنظر: نظامى عروض السمرقندى (ت ٥٥٢هـ) جهار مقالة (المقالات الأربع) تحقيق محمد عبدالوهاب القزوينى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ط الأولى ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص ٣١: ابن الأثير: الكامل م٨/٣١٤، ابن طباطبا محمد بن على المعروف بابن الطقطقا (ت٧٠٩هـ) الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر – بيروت (د.ت)ص ٣٠٢.

(٣) السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه، غياث الدين أبوالفتح السلجوقى نشأ بالموصل واستقل بالسلطنة سنة ٥٢٨ هـ وقدم بغداد وكان عادلا لينا كبير النفس، فرق مملكته على أصحابه، كان شديد على خلفاء بنى العباس المعاصرين له، وجرت بينه وبين الخليفة المسترشد حربا شديدة انكسر على أثرها جيش الخليفة، وجرت بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر منازعة ثم تصالحا. (ت٥٤٧هـ) انظر ابن الجوزى (أبا الفرج عبدالرحمن بن على ت ٥٩٧هـ)، المنتظم، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢، ١٣/٢٥٠؛ الذهبى محمد بن أحمد عثمان ت (٧٤٨هـ). سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخر، بيروت مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ ٢٠/ ٣٨٤.

(٤) الخليفة المقتفى لأمر الله أبوعبدالله محمد بن المستظهر من أفاضل خلفاء العباسيين، وكان عفيفا عن أموال الرعية. انظر ابن الاثير، الكامل ٨/٤٨٠؛ ابن طباطبا، الفخرى، ٣١٠؛ السيوطى (جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر ت٩١١). تاريخ الخلفاء، بيروت، دار التراث (د.ت) ٤٠٣.

(٥) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ٤٠٣؛ محمد الخضرى: محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية «الدولة العباسية»، دار المعرفة (بيروت) ٢ ط ٤ سنة ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م، ص ٣٠٨.

(٦) الخليفة المستظهر بالله أبوالعباس أحمد ابن الخليفة المقتدى بالله ولى الخلافة سنة ٥٤٨٧ هـ، كان كريما وصولا حسن الخلق، استمر فى الخلافة حتى وفاته سنة ٥١٢ هـ

انظر ابن طباطبا: الفخرى ٣٠٠، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ٤٠٥

(٧) الحسينى (صدر الدين على بن ناصر توفى حوالى سنة ٥٧٥ هـ): أخبار الدولة السلجوقية (زبدة التواريخ)، تصحيح: إقبال، لاهور، جامعة البنجاب، سنة ١٩٣٣ ، ١٧١.

(٨) ابن الأثير: الكامل، ٣٥٦/٨.

(٩) حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، دار الفكر العربى، القاهرة، سنة ١٩٩٥ ، ٤٨٢.

(١٠) عصام الدين عبدالرءوف: الحياة السياسية فى بلاد الجبل ويزد فى عهد الكاكاوية الديالمة، بحث منشور فى مجلة المؤرخ العربى، العدد ١٨ بغداد ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م ، ١٠٣، يحيى حمزة: الدولة السلجوقية فى عهد السلطان سنجر (٤٩٠ – ٥٥٢هـ ١٠٩٦ – ١١٥٧هـ) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط الأولى سنة ١٤٢٤ / ٢٠٠٤ م ، ص١٤٨.

(١١) مسعود بلال: تولى شحنة بغداد أثناء حكم السلطان مسعود فى بغداد، وهو من الخدم الخصيان الحبشيين الذين وصلوا إلى مناصب مرموقة فى الدولة. انظر: الحسينى، زبدة التواريخ، ص٢٤١.

(١٢) يحيى حمزة: الدولة السلجوقية، ١٥٢.

(١٣) كان أنوشتكين مملوكا لدى إحدى أمراء السلاجقة المسمى بلكباك، اشتراه من رجل من غرسستان فسمى أنوشتكين غرشجة، وظل فى خدمة بلكباك حتى تم إقطاعه إقليم خوارزم.

ابن واصل الحموى (جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧هـ): مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة، القاهرة، ط ١٩٦٠م، ٣٥/٣.

(١٤) السلطان جلال الدنيا والدين أبوالفتح ملكشاه بن ألب أرسلان سلطان السلاجقة الذى امتدت سلطنته شرقا إلى إقليم ما وراء النهر وغرباء حتى البحر المتوسط وآسيا الصغرى، استمر فى سلطنة أكثر من تسع عشر عاما وتوفى سنة ٤٨٥هـ.

انظر الحسينى: زبدة التواريخ، ١٤٧؛ ابن الأثير، الكامل ٧٣/٨.

(١٥) الطشت دار أحد المناصب التى يتولاها الغلمان فى الطشت خاناه والمقصود بذلك : بيت الطشت، سميت بذلك لأن فيها يكون الطشت الذى تغسل فيه الأيدى، والطشت الذى يغسل فيه القماش.

أنظرالقلقشندى (أبوالعباس أحمد بن على ت٨٢١ هـ) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١١/٤، ١٠.

(١٦) إقليم خوارزم: يقع غرب الصغد وهو الإقليم المعروف اليوم باسم «خيوه» ويشمل على دلتا نهر جيحون. البكرى (عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسى ت٤٨٧هـ) معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت (د.ت) ٥١٥/٢؛ ياقوت بن عبدالله الحموى (ت٦٢٦ هـ): معجم البلدان، تحقيق وستنفيلد ليبسك، مطبعة الجامعة سنة ١٨٧٠ م، ٢ م ٣٩٥.

(١٧) قطب الدين محمد بن أنوشتكين أكبر أبناء انوشتكين، أرسله والده إلى مدينة مرو ليتلقى آداب الرئاسة ورسوم الإمارة فعرف بالعلم والأدب، وتدرب على أصول الحكم، ويعد محمد هذا من مؤسسى الدولة الخوارزمية.

ابن الأثير: الكامل، ٢٦٨/٨؛ ابن الوردى (أبوحفص عمر بن الوردى ت ٧٤٩): تاريخ ابن الوردى «تتمة المختصر فى أخبار البشر»، المطبعة الحيدرية، النجف، سنة ١٩٦٩، ١٤/٢.

(١٨) خوارزم شاه: أى ملك خوارزم، البيرونى (أبوالريحان محمد بن أحمد ت ٤٤٠هـ) : الآثار الباقية من القرون الخالية، تحقيق خليل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٤.

(١٩) الحسينى : زبدة التواريخ، ١٧٧؛ ابن الأثير : الكامل ٢٨٩/٨.

(٢٠) السلطان سنجر السلجوقى ابن ملكشاه بن الب أرسلان، أقام فى السلطنة نيفا وستين سنة، وكان نفوذه واسعا، إذ اشتمل سلطانه على خراسان وأكثر أقاليم إيران والعراق، وهو من أعظم سلاطين السلاجقة (ت٥٥٢هـ) ابن الأثير : الكامل، ٢٢٣/٨، ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد ت ٦٨١): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ١٩٦٩ م، ص٢.

(٢١) ذكر ابن الأثير أن جماعة من ملوك الأتراك اجتمعوا واتجهوا إلى خوارزم للاستيلاء عليها وكان محمد غائبا عنها، فلما سمع بذلك عاد إلى خوارزم مسرعا واستنجد بالسلطان سنجر الذى عاونه فى ذلك، فهرب الأتراك من أمام خوارزم شاه محمد أنظر: الكامل ٢٦٩/٨

(٢٢) علاءالدين اتسز بن قطب الدين محمد خوارزم شاه – صاحب خوارزم – تملك على خوارزم وتوسع فى رقعة أملاكه وعمل على توطيد حكمه وزيادة قوته، كان أتسز عادلا محببا إلى رعيته، وهو الذى وطد دعم الدولة الخوارزمية (ت٥٥١هـ).

انظر ابن الأثير : الكامل، ٢١٠/٨؛ الذهبى، سير أعلام النبلاء ٣٢٢/٢٠.

(٢٣) ابن الأثير : الكامل ٢٦٩/٨.

(٢٤) عن هذه المؤامرة والدور البطولى لأتسز، راجع ابن الأثير: الكامل، ١٨٤/٨.

(٢٥) عبدالمنعم حسانين : سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط ٢ سنة ١٣٨٠، ١١٦.

(٢٦) يحيى حمزة : الدولة السلجوقية، ١٧٠.

(٢٧) عن المعارك التى دارت بين الخوارزميين وبين السلاجقة، راجع ابن الأثير: الكامل، ٣٦٤/٨: نافع العبود: الدولة الخوارزمية – «نشأتها وعلاقتها مع الدولة الإسلامية، ونظمها العسكرية والإدارية (٤٩٠ – ٦٢٨هـ) بغداد، مكتبة الجامعة، سنة ١٩٧٨، ٢٢، ٤٥؛ حافظ أحمد حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول «غزو جنكيز خان للعالم الإسلامى وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية»، دار الفكرالعربى، القاهرة (د.ت)، ص٢٢ وما بعدها.

(٢٨) ابن الأثير : الكامل ٤٨/٩؛ ابن الوردى، تتمة المختصر / ٦٧.

(٢٩) كانت الدولة السلجوقية آنذاك محاطة بالعديد من القوى ذات الأطماع التوسعية، كقبائل الخطا «القرخطائية» والغوريين ودارت معارك عنيفة بين السلطان السلجوقى سنجر وهذه القوى، وهذه المعارك كانت من أسباب عدم تمكن سنجر من القضاء على جيش أتسز، وخاصة بعد هزيمة سنجر فى موقعة قطوان سنة ٥٣٦ هـ.

(٣٠) عبدالمنعم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، ١١٨؛ يحيى حمزة : الدولة السلجوقية.

(٣١) ابن الأثير : الكامل، ٢١/٩.

(٣٢) الحسينى : زبدة التواريخ، ٣١٣؛ صبرى سليم : الأتراك الخورازميين، ٢١؛ حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول، ص٥٧، ٥٨.

(٣٣) ديوان الإنشاء: أول ديوان عرف فى الإسلام، فقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكاتب ملوك الدول لدعوتهم إلى الإسلام وكان يكتب له جماعة من الصحابة منهم أبوبكر، وعلى، وزيد بن ثابت، ومعاوية رضى الله عنهم. وفى عصر الدولة الأموية كان للكتابة كاتب مختص بها ومن أشهر كتاب العصر الأموى: عبدالحميد الكاتب وفى العصر العباسى كان الإنشاء – الرسائل – يضاف إلى الوزارة تارة وتارة يعهد به لكاتب مختص وهو الأغلب – وعرف بديوان الإنشاء أو الرسائل، وعرف صاحبه باسم صاحب ديوان الإنشاء وكان لا يتولاه إلا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالأجل وكان يقال له كاتب الدست الشريف وإليه تسلم المكاتبات الواردة مختومة. القلقشندى : صبح الأعشى، ٤٩٠/٣.

(٣٤) أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الرومى الحموى (ت٦٢٦): معجم الأدباء، تحقيق إحسان عبدالرحمن، دار الغرب الإسلامى – بيروت ط١ سنة ١٩٩٣ ، ٢٦٣١/٦؛ السيوطى (جلال الدين عبدالرحمن بن بى أبكر ت٩١١هـ): بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبى الفضل إبراهيم، القاهرة مطبعة الحلبى، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م، ١٥/١م.

(٣٥) ياقوت الحموى : معجم الأدباء، ٣٧/١، ٣٦، ٩٦٢/٣.

(٣٦) بلخ: أم البلاد الخراسانية، ورابع أرباع خراسان، وما كان من هذا الربع خارج حد قصبته انقسم إلى قسمين الغربى منها فى الجوزجان والشرقى منها فى طخارستان، تكلم اليعقوبى عنها وقال: أنها مدينة خراسان العظمى. انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان، ٤٧٩/١؛ كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة فرنسيس وكركيس عواد، مؤسسة الرسالة – بيروت ط٢ سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ ، ٤٦٢.

(٣٧) كتب عطا ملك الجوينى مؤلف تاريخ جهانكشاى عند ذكره لأحوال السلطان تكس بن ايل أرسلان خوارزمشاه (٥٦٨ – ٥٨٩) إن تكس ذهب إلى خوارزم فى يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الآخر سنة ٥٦٨ هـ فجلس على سرير الملك، فاقبل الشعراء والبلغاء على تهنئته وانشدوه خطبهم وأشعارهم وكان من بينهم الوطواط الذى كان فى خدمة آبائه، جلبوه محمولا فى محفة، لأنه كان قد تجاوز الثمانين من عمره.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا النص يدل على أن سن رشيد الدين الوطواط فى ٥٦٨ هـ قد اربى على الثمانين وعلى هذا يكون تاريخ مولده سابقا على سنة ٤٨٧، ولما كان الوطواط لم يصل إلى التسعين فى هذه السنة فلاشك أنه لم يولد قبل سنة ٤٨٠ هـ فيكون مولده محصورا بين سنتى ٤٨٠، ٤٨٧ هـ

راجع مقدمة إبراهيم أمين الشواربى لكتاب الوطواط: حدائق السحر فى دقائق الشعر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة سنة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، وقد قام الشواربى بتعريب حدائق السحر من الفارسية إلى العربية.

(٣٨) إبراهيم الشواربى : مقدمة السحر، ٣

(٣٩) انظر تاريخ جهانكشاى – سلسلة جب التذكارية – ليدن ١٩١١م –١٢/٢: ١٨ نقلا عن الشواربى، مقدمة حدائق السحر ٤.

(٤٠) المدارس النظامية: أسس هذا النظام الوزير السلجوقى نظام الملك وقد شهدت أمصار العالم الإسلامى إبان القرن الخامس الهجرى تأسيس العديد من هذه المدارس وكانت بلخ إحدى المدن التى أقيمت فيها مدرسة نظامية أما عن التحاق الوطواط بالنظامية فى بلخ، فقد أورد ذلك فى رسالته لشيخه الهروى – الوطواط – رسائل ٣٠/٢ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١، ٣٩٨.

(٤١) أبوسعد الهروى: محمد بن أحمد آبى يوسف القاضى ولد بهراق ونشأ بها وسمع من رجال عصره، ولى القضاء بهمدان سنة ٤٨٨ هـ، من آثاره: شرح أدب القضاء للعبادى، وسماه بالإشراف ت(٥١٨هـ).

انظر عمر كحالة: معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، (د.ت) ٣٠/٩

(٤٢) مما جاء فى رسالة الوطواط لشيخه الهراوى

كتاب وفى الأحشاء وجد على وجد إلى الصدر مولانا الأجل أبى سعد

أشم طويل الباع أصح رافعا إلى قمم الأفلاك ألوية المجد

مرآة بنى الإسلام عقد جواهر وفيهم أبو سعد كواسطة العقد

سقى الله أيامنا بالعقيق، ودهورنا باللوى وأعوامنا بالخليصا وشهورنا بالحمة، فإن معانى هذه الكلمات لألفاظ المسرات كالمعانى جنينا فيها ثمار أطيب الأمانى، ومن أشجار وصال الغوانى، لا بل سقى مواقفنا ببلخ فى المدرسة النظامية واجتماعنا فى المجالس الأمامية:

مجالس مولانا أبى سعد الذى به سعد الأيام والدين والدنيا

همام حوى يوم الفخار بنانه على رغم أناف العدى والدين قصب العليا

الإمام أبوسعد، وما أدراك ما الإمام أبوسعد، سعد كله، خير قوله وفعله، صاحب جيوش الفصاحة، ومالك رقاب البلاغة، وناظم عقد المحامد، وجامع شمل المكارم وناشر أردية الفضل والكرم، وعامر أبنية الأدب والحكم.

لله در أما كله أدب بفضله تتحلى العجم والعرب

الله يعلم وأن شط المزار وشحطت الديار لا أقطع أكثر أوقاتى ولا أزجى أغلب ساعاتى إلا فى مدح معاليه، ولا كنت أحصى من صنائعه عشرا وكيف لا أبالغ فى ثنائه ولا أواظب على دعائه وهو الذى رفع قدرى، وشرح للأدب صدرى وسقانى كؤوس العلم، وأحشائى صادية وكسانى حلل الفضل وعوراتى بادية، اغترفت ما اغترفت من بحاره، واقتطفت من اقتطفت من ثماره.. راجع نص الرسالة عند الوطواط : رسائل، ٢/٢٩/٣٠.

(٤٣) ياقوت الحموى : معجم الأدباء، ٦/٢٦٣٢

(٤٤) والأبيات التى توضتح ذلك بالفارسية هى

سى سال شدكة بنده بصف نعال در بونست مدح خوان وتو برتخت مداح خواه

داند خداى عرس كه هركز نايستاد جوين بنده مدح خوانى درهيج باركاه

اكنون دلت زنبده سى ساله شد ملول دردل بطول مدت يابد ملال راه

ليكن مثل زنند جو مخدوم شد ملول جو يد كناه وبنده يبجاره بى كناه

ومعنى الأبيات لقد مضت ثلاثون عاما منذ وقفت بالباب فى صف النعال وكنت مداحا للملك وكان الملك على عرشه راغباً فى مدحى. واله العرش يعلم أن احدا مثلى لم يقف مادحا فى قصر من القصور ولكن قلبك الآن أصبح متعبا من خادمك الذى أمضى فى خدمتك ثلاثين سنة والملل يتطرق إلى القلوب بطول المدة والملازمة وقد ضربوا الأمثال فقالا عندما يحل المخدوم يبحث لخادمه عن ذنب ويكون الخادم المسكين لا ذنب له.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ففى الأبيات ذكر الوطواط أن مدة خدمته لاتسز وصلت إى ثلاثين سنة على وجه التقريب لا التحديد لأنه ولى منصبه سنة ٥٢١ هـ وهذه الحادية سنة ٥٤٨هـ على كل حال فأتسز قد أعاد كاتبه بعد أن استعطفه كثيرا إلى منصبه.

الوطواط : حدائق السحر تعريت إبراهيم الشواربى، ٤, ٥

(٤٥) القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صار بيروت، دت: حدائق السحر، ١٠

(٤٦) انظر الوطواط : حدائق السحر١٠.

(٤٧) فى جمادى الأخرة سنة ٥٤٢هـ، خرج مع السلطان سنجر إلى خوارزم وحاصر قصبة هزاراسب وقلعتها مده شهرين وكان الشاعر «أنورى» فى خدمته فكتب الرباعى التالى على سهم من السهام وألقاه على هزاراسب:

أى شاه همه ملك زمين حسب تراست وزادلت وإقبال جهان كسب تراست

أمروز بيك حمله هزاراسب بكير فردا خوارز موصد هزاراسب ترست

ومعناه أيها المليك إن ملك العالمين رهن لإشارتك وبدولتك وإقبالك قد كسبت العالم فاليوم أقدم بحمله واحدة وخذ هزاراسب فغدا ستأخذ خوارزم ومائة شبيهة بهزاراسب أى مائة ألف جواد، وكان الوطواط حاضرا مع سيدة اتسز فى هزاراسب فأجاب على الرباعى ببيت واحد كتبه على سهم طوح به إلى جيوش السلطان

كر خصم تو أى شاه بود رستم كرد يك خرز هزاراسب تو تنوانب برد

ومعناه فلو قدر وكان خصمك هو البطل المعروف رستم فأنه لن يسطيع أن يأخذ حمارا واحدا من بين هزاراسب أو جيادك الألف.

فلما علم السلطان ببيت الوطواط غضب غضبا شديدا وأقسم أن يمزقه إلى سبعة أقسام وعندما سيطر السلطانِ على الوضع أمر بالمبالغة فى البحث عنه وأرسل المنادين فى طلبه وأخذ الوطواط يفر من مكان إلى مكان ولكنه أدرك فى النهاية إلا راحة له ولا استقرار مع كثرة التنقل والفرار فتوسل إلى بعض الأكابر أن يشفعوا له لدى سنجر ولكن واحد منهم لم يجرؤعلى ذلك فالتجأ الوطواط إلى منتخب الدين بديع الكاتب وكان يجمع بين منصب الإنشاء والمنادمة فلما كانت صلاة الفجر ألقى منتخب الدين درسه فى الوعظ على مسامع السلطان حتى وصل الحديث إلى ذكر الوطواط فوقف منتخب الدين وسأل السلطان إلا كان على استعداد لأن يجيبه إى ملتمس واحد يسأله منه فوعده السلطان بتحقيق ما يطلب فقال أن الوطوااط طائر ضعيف لايحتمل جسده التقطيع الى سبعة أجزاء فهل يكتفى السلطان بتقطيعه إلى جزأى اثنين فضحك سنجر وعفا عن الوطواط أنظر :الوطواط حدائق السحر٨,٩.

(٤٨) انظر الوطواط : رسائل ج٢ احتوى الجزء الثانى من الرسائل على مكاتبات قيمة من الوطواط إلى :كبار رجال عصره.

(٤٩) محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الزمخشرى: زمشخر قرية من عمل خوارزم، الخوارزمى العلامة النحوى كبير المعتزلة صاحب الكشاف والمفصل رحل وسمع ببغداد وعنه أخذ خلق وروى عنه جماعة وكان رأسا فى البلاغة والعربية والمعانى والبيان وله نظم جيد «ت٥٣٨م» الذهبى : سير أعلام النبلاء، ١٥٣/٢٠

(٥٠) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ٢٦٣٢/٦

(٥١) راجع بعض المراسلات عند الوطواط : مجموعة الرسائل ، ج٢

(٥٢) هو الكتاب الذى ألفه الوطواط لأبى المظفر خوارزم شاه اتسز وعارض به كتاب ترجمان البلاغة لفرحى الشاعر الفارسى، وقد عرب هذا الكتاب أ/إبراهيم الشواربى.

انظر ياقوت الحمو ى- ٢٦٣٢/٦

(٥٣) هو مجموعة من الرسائل التى اشتملت على الرسائل المرسلة للخليفة العباسى المقتفى، وكبار رجال الحكم فى الدولة العباسية.

(٥٤) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ٢٦٣٢/٦؛ السيوطى، بغية الوعاة، ٢٣٠/٢.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥٥) الكامل ، ٣٠٩/٩

(٥٦) ابن الأثير: الكامل ، ٣٠٩/٩

(٧٥) ابن الأثير : الكامل ٣٢٩/٩

(٥٨) تاريخ الخلفاء، ٤٠٤، محمد حمادة : الوثائق السياسية والإدارية، ٤٤١؛ محمد الزهرانى : نفوذ السلاجقة السياسى فى الدولة العباسية ٤٤٧ : ٥٩٠، مكة المكرمة، مكتبة الطالب، ط الأولى ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م ، ١٤٦.

(٥٩) ذكر المؤرخون المعاصرون لهذه الفترة أن قطب الدين محمد بن أنوشكين والد أتسز كان كريم الأخلاق محبا للعدل، مقربا لأهل العلم، وعندما ولى خوارزم ظهرت كفايته وشهامته، مما جعل السلطان سنجر يعظمه ويجله ويعرف له قدره، ومن أعماله الجهادية التى تحسب له ما أورده ابن الأثير من قيام جماعة من ملوك الترك بالهجوم على خوارزم وقطب الدين محمد غائب عنها، فلما سمع بالخبر بادر إلى خوارزم وطلب المدد من السلطان سنجر فسار إليه فى عساكره، لكن محمدا لم ينتظر وقرر مهاجمة الأتراك فى خوارزم، فهربوا من أمامه وكفى خوارزم شاه شرهم، ومما يذكر لمحمد أيضا محاولته تأديب قبائل الخطأ سنة ٤٩٠هـ إلا أنه لم ينجح فى ذلك نجاحا تاما، وشاهد القول أن والد اتسز كان من المخلصين والمجاهدين، إذ استمر ثلاثين سنة ولم يخرج فيها عن طاعة السلطان، وكان يسعى دائما ويعمل من أجل وحدة السلاجقة حتى وفاته سنة ٥٢١هـ.

وهذه الأعمال هى التى ذكرها اتسز فى رسالته وهو يتحدث عن مآثر والده وجهوده.

انظر: ابن الأثير: الكامل ، ١٠/٩؛ ابن الوردى : تتمة المختصر، ١٨/٢؛ يحيى حمزة : الدولة السلجوقية فى عهد السلطان سنجر، ١٦٩؛ صبرى سليم : الأتراك الخوارزميون فى الشرق الأدنى الإسلامى، ١٩.

(٦٠) ذكر ابن الأثير أن أتسز ولى خوارزم بعد وفاة أبيه، فمدّ ظلال الأمن وأفاض العدل، وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه، وقصد بلاد الأعداء، وباشر الحروب، فملك مدينة منقشلاع، أما السلطان سنجر فقد عظمه واعتضد به واستصحبه معه فى أسفاره وحروبه، فظهرت منه الكفاية والشهامة، فزاده تقدما وعلوا، وهو ابتداء ملك خوارزم شاه.

وما ذكره ابن الأثير مطابق تماما لما ورد فى نص الرسالة من قيام أتسز بواجبة خير قيام.

أنظر: الوطواط : الرسائل ٦؛ ابن الأثير : الكامل ١٠/٩، ١١.

(٦١) يشير أتسز إلى بداية الخلاف وهو قيام السلاجقة بعدم حفظ حقوق أتباعه ورعيته، وعدم صيانة واجبهم. انظر: الوطواط : الرسائل، ٧.

(٦٢) الوطواط : رسائل، ٧.

(٦٣) الكامل ، ٣٠٩/٩.

(٦٤) ابن الاثير – الكامل ٣١٠/٩ ؛ يحيى حمزة: الدولة السلجوقية، ١٧١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦٥) الشيعة الإسماعيلية – يقولون أنهم من شيعة آل على، ويعتقدون فى سبعة أئمة آخرهم : إسماعيل بن جعفر الصادق، من مبادئهم الأساسية: إيمانهم بالإمامة، لاعتقادهم عجز العقل البشرى عن معرفة الله عز وجل، ومن ثم يجب على الناس اختيار إمام لهم يقوم بإرشادهم، ومن أسس مذهبهم أن للعقيدة ظاهرا وباطنا، فأولوا أحكام الشرع وأصبح لكل فرع من العبادات باطنا، فأطلق عليهم الباطنية، وقد ازداد نفوذهم فى خراسان إبان سيادة البويهيين، ٣٣٤ – ٤٤٧ هـ ومع بداية سيطرة السلاجقة من سنة ٤٤٧ هـ ضعف نفوذهم، لتعقب السلاجقة لهم، ثم ازداد نفوذهم على يد الحسن بن محمد بن الصباح ٥٥٧ هـ الذى كان يدعو لإمامة نزار ابن المستنصر بالله الفاطمى، وعرفوا باسم الإسماعيلية النزارية، واردات قوتهم بعد أن اتخذوا من قلعة الموت مقرا لدعوتهم.

عن الباطنية، وما أحدثته فى بلاد المشرق الإسلامى راجع: الشهر ستأتى (أبى الفتح محمد بن عبدالكريم ت٥٤٨هـ) الملل والنحل، بيروت، الكتب العلمية (د.ت) ، ١٩٢؛ الغزالى أبى حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ) فضائح الباطنية، تحقيق: عبدالرحمن بدوى، القاهرة سنة ١٣٨٣ هـ ، ١١، ١٢، سبط ابن الجوزى يوسف بن عبدالرحمن (ت٦٥٤هـ): مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد: الدكن، ١٩٥٢، م٣٦٨/٨؛ خير الدين الزركلى، الإعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج٢١٣/٢

(٦٦) الخليفة المسترشد بالله: أبوالفضل بن المستظهر، كان ذا أهمية عالية وشهامة زائدة، وأقدام رأى، ضبط أمور الخلافة ورتبها، وأحبر رسمها، وشيد أركان الشريعة، وباشر الحرب بنفسه، قتلته الباطنية وهو فى حماية السلطان مسعود فى ٥٢٩هـ.

ابن الأثير : الكامل ٢٨٣/٩؛ السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ٣٩٧.

(٦٧) الراشد بالله أبوجعفر منصور بن المسترشد الخليفة العباسى، كان فصيحا أديبا، شجاعا، حسن السيرة جمع السلطان مسعود العلماء فأفتوا بخلعه إذا ثبت فسقه، قتل فى أصفهان سنة ٥٣٢هـ.

ابن الأثير : الكامل ، ٣٠٥/٩؛ السيوطى، تاريخ الخلفاء، ٤٠١.

(٦٨) ابن الاثير : الكامل، ٢٤٤/٩؛ ابن كثير أبوالفدا إسماعيل بن محمد بن عمر (٧٧٤هـ) : البداية والنهاية، دار الفكر العربى، بيروت ١٩٨/١٢

(٦٩) ابن الأثير : الكامل ٢٧٦/٩.

(٧٠) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقية، ١١٣؛ ابن الأثير . الكامل ، ٣١٤/٩.

(٧١) أبوالفدا إسماعيل بن محمد بن عمر (ت٨٣٢) : المختصر فى أخبار البشر، بيروت، الكتب العلمية، (د.ت)، ١٥٣.

(٧٢) عن هذه الأحداث انظر: ابن الأثير : الكامل ٤٥٦/٩؛ ابن الكثير : البداية والنهاية، ٢٣٦/١٢؛ عصام الدين عبدالرؤوف: الدول الإسلامية المستقلة فى المشرق، دار الفكر، القاهرة ، ٢٣٥؛ يحيى حمزة: الدولة السلجوقية ، ٢٠٧ وما بعدها.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٧٣) الوطواط : الرسائل، ١٣.

(٧٤) انظر الكامل، ٣٧٣/٩.

(٧٥) قام خوارزم شاه بهجوم كبير على خراسان فى سنة ٥٣٦ هـ مستغلا انشغال السلطان سنجر فى قتلاه ضد الخطا، ثم هزيمتهم فى قطوان وكان أثر هذا الهجوم جسيما فى نفس سنجر لأن أتسز قد استولى على خزائن السلطان الموجودة فى مرو، ونقل صناديق جوهره، وتعرض العلماء لنكبات عظيمة من جراء هذا الهجوم، وضاعت خلاله الكثير من كتب العلم، ومنها مكتبة حكيم حسن قطان وغيرها من المكتبات، وهذا السبب هو الذى أدى إلى قيام السلطان بحصار خوارزم وقلعة هزاراسب سنة ٥٣٧، ٥٣٨ هـ وانتهى باعتذار أتسز كعادته.

عن هذه الحادثة أنظر الحسينى: أخبار الدولة السلجوقية، ٩٣٠؛ ابن الأثير: الكامل، ٣١١/٩.

(٧٦) أخبار الدولة السلجوقية، ٩٦.

(٧٧) ابن الأثير: الكامل، ٢٩٠/٩.

(٧٨) الوطواط: ٨ – ٩.

(٧٩) عبدالمنعم حسانين، سلاجقة إيران والعراق، ١١٧.

(٨٠) الغز قبائل تركية كانت تسكن فى أقصى تركستان على حدود الصين، انتقلوا إلى بلاد ما وراء النهر أيام الخليفة العباسى المقتفى لأمر الله سنة ٥٣٠ هـ وأعلنوا إسلامهم وكانوا فى طاعة السلطان السلجوقى سنجر ونظرا لسوء تصرف بعض أمراء السلاجقة وظلمهم للغز، امتنعوا عن تقديم ما كان مقررا عليهم من أغنام وماشية للسلطان، وزاد تمردهم بعد أن قاوموا جيش الأمير قماج وقتله، فأدى ذلك إلى خروج السلطان بنفسه لقتالهم، ونتيجة لاستهانة جيش السلطان بهم، دارت الدائرة على السلاجقة، وانطلق الغز فى بلاد السلاجقة بعد أن هزموا جيش السلطان.

ابن الأثير: الكامل ٣٧٠/٩؛ القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ٣٣٠.

(٨١) ابن الأثير: الكامل ٣٧٢/٩؛ يحيى حمزة: الدولة السلجوقية، ١٩٠.

(٨٢) ابن الاثير: ٣٨٠/٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٣٧/١٢.

(٨٣) الوطواط: رسائل ١٣.

(٨٤) الوطواط: رسائل ١٥.

(٨٥) عن هذه الواقعة راجع: ابن الأثير: الكامل، ٣٦٠/٩.

(٨٦) ابن الأثير: الكامل، ١٥٧/١٠؛ عصام الفقى: الدولة المستقلة فى الشرق، ١٠٠.

(٨٧) الوطواط: الرسائل، ١٥.

(٨٨) يحيى حمزة: الدولة السلجوقية، ١٧٦

(٨٩) الوطواط: رسائل، الرسالة الثالثة، ١٧.

(٩٠) الوطواط: الرسائل الخامسة، ٢١.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٩١) على الرغم من بقاء أتسز فى خوارزم ودفاعه عنها إلا أن بعض أطراف خوارزم وقعت تحت أيدى الخطا، مما حذا بأتسز أن يفاوضهم، ويدفع لهم جزية محددة مقابل أن يتركوا ما سيطروا عليه. أنظر: عصام الفقى: الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى، ١٠٠.

(٩٢) الوطواط: الرسائل، ٢٣.

(٩٣) الكامل، ٩/٣٨٤، ٣٨٥.

(٩٤) ولى محمد هذا سلطنة السلاجقة فى العراق بعد وفاة عمه مسعود سنة ٥٤٧هـ، والقبض على أخيه ملكشاه من قبل خاص بك أحد قادة السلاجقة، وكان خاص بك هذا يريد القبض على السلطان محمد، ليتولى سلطنة السلاجقة إلا أن السلطان محمد فطن لذلك وقبض على خاص بك ومن معه ثم قتلهم، وخطب له بالسلطنة.

ابن الأثير: الكامل، ٩/٣٧٤، الزركلى، الإعلام، ٧/٨٦.

(٩٥) الوطواط: الرسائل «الرسالة الخامسة» – ٢١.

(٩٦) الوطواط: الرسائل «الرسالة الخامسة» –٢٢.

(٩٧) ابن الأثير: الكامل، ٩/٤٠٦، ٤١٠.

(٩٨) ابن الأثير: الكامل، ٩/٣٨٦.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير: (أبوالحسن على بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيبانى الجزرى ت٦٣٠هـ)

١- الكامل فى التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

البكرى (عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسى ت ٤٨٧هـ)

٢- معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا - عالم الكتب - بيروت (د.ت)

البيرونى (أبوالريحان محمد بن أحمد ت ٤٤٠هـ)

٣- الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: خليل أحمد. دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢٠هـ.

ابن الجوزي (أبوالفرج عبدالرحمن بن على ت ٥٩٧هـ)

٤- المنتظم، دار الكتب العلمية: بيروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

حسانين: عبدالمنعم محمد

٥- سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط ٢، ١٣٨٠هـ

الحسينى (صدر الدين على بن ناصر «المتوفى حوالى ٥٧٥هـ)

٦- أخبار الدولة السلجوقية «زبدة التواريخ»، تصحيح: محمد إقبال: لاهور «جامعة البنجاب» ١٩٩٣م

حمادة: محمد ماهر

٧- الوثائق السياسية والإدارية «العصر العباسى»، مؤسسة الرسالة: بيروت ط٣ ١٩٨٢م.

حمدى: حافظ أحمد

٨- الدولة الخوارزمية والمغول «غزو جنكيز خان للعالم الإسلامى وآثاره السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية»، دار الفكر العربى ، القاهرة (د.ت).

حمزة: يحى

٩- الدولة السلجوقية فى عهد السلطان سنجر «٤٩٠: ٥٥٢هـ - ١٠٩٦: ١١٥٧م»

مكتبة الثقافة: القاهرة ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

الخضرى: محمد بك

١٠- محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية «الدولة العباسية»، دار المعرفة: بيروت لبنان - ط٤ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

ابن خلكان (أبوالعباس أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ)

١١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس - دار صادر - بيروت ١٩٦٩م.

الذهبى: (أبوعبدالله محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ)

١٢- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد العرقسوسى. مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط الثالثة، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزركلى خير الدين

١٣- الإعلام «قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ط ٤، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.

الزهرانى محمد

١٤ - نفوذ السلاجقة السياسى فى الدولة العباسية «٤٤٧ : ٩٥٠هـ»، مكتبة الطالب، مكة المكرمة، ط الأولى ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.

سبط ابن الجوزى (يوسف بن عبدالرحمن ت٦٥٤هـ)

١٥ - مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٩٥٢م.

سليم صبرى

١٦- الأتراك الخوارزميون فى الشرق الأدنى الإسلامى (٦٢٨: ٦٤٤هـ).

السيوطى (جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر، ٩١١ هـ).

١٧ - بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة،

تحقيق: محمد أبى الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبى، القاهرة ١٣٤٨هـ - ١٩٦٤م.

١٨- تاريخ الخلفاء، دار التراث: بيروت (د.ت)

الشهر ستانى: (أبوالفتح محمد بن عبدالكريم ت ٥٤٨هـ)

١٩ - الملل والنحل، دار الكتب العلمية - بيروت (د.ت)

ابن طباطبا: (محمد بن على المعروف بابن الطقطقا ت ٧٠٩هـ)

٢٠- الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر: بيروت لبنان (د.ت)

عبود: ناقع

٢١ - الدولة الخوارزمية: نشأتها وعلاقاتها مع الدول الإسلامية، ونظمها العسكرية والإدارية (٦٢٨ - ٤٩٠هـ)، مكتبة الجامعة، بغداد ١٩٧٨م.

عروض (نظامى السمر قندى ت ٥٥٢هـ)

٢٢ - جهار مقالة «المقالات الأربع»، تحقيق محمد عبدالوهاب القزوينى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط الأولى، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩م.

الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد ت ٥٠٥هـ)

٢٣ - فضائح الباطنية، تحقيق عبدالرحمن بدوى، القاهرة ١٣٨٣هـ.

ابوالفدا (إسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢هـ)

٢٤ - المختصر فى أخبار البشر دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)

الفقى: عصام الدين عبدالرؤوف

٢٥ - الحياة السياسية فى بلاد الجبل ويزد فى عهد الكاكوية الديالمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بحث منشورة فى مجلة المؤرخ العربى عدد ١٨، بغداد ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.
٢٦ – الدول المستقلة فى المشرق، دار الفكر، القاهرة (د.ت).
القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ).
٢٧ – آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر – بيروت (د.ت).
القلقشندى (أبوالعباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ)
٢٨ – صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، دار الكتب بيروت، القاهرة ١٣٣١ هـ / ١٩١٣م.
ابن كثير (أبوالفدا إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ).
٢٩– البداية والنهاية، دار الفكر بيروت، القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م.
كحالة: عمر رضا
٣٠– معجم المؤلفين: «تراجم مصنفى الكتب العربية»، دار إحياء التراث العربى – بيروت لبنان – «د.ت»)
ليسترنج: كى
٣١– بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة «بيروت» ١٤٠٥هـ.
محمود: حسن أحمد، أحمد الشريف
٣٢ – العالم الإسلامى فى العصر العباسى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٥م.
مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٣٣ – المعجم الوسيط، القاهرة: مطبعة المجمع – ط ٣ ١٩٧٢م.
ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم الحموى ت ٦٩٧هـ)
٣٣ – مفرج الكروب فى أخبار بن أيوب
تحقيق: جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة، ط الأولى القاهرة ١٩٦٠م
ابن الوردى (زين الدين أبوحفص عمر بن مظفر بن عمر ت ٧٤٩هـ)
٣٤– تتمة المختصر فى أخبار البشر «أخبار ابن الوردى»، المكتبة الحيدرية – النجف ١٩٦٩م
الوطواط (رشيد الدين محمد بن محمد العمرى ت ٥٧٣هـ)
٣٥ – حدائق السحر فى دقائق الشعر
نقلة إلى العربية، إبراهيم الشواربى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٤م.
٣٦– مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط «جمعها: محمد أفندى فهمى»
مطبعة المعارف – القاهرة ١٣١٥هـ.
ياقوت (أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى ت ٦٢٦هـ)
٣٧ – معجم البلدان، تحقيق: وستنفيلد، ليبسك، مطبعة الجامعة ١٨٧٠م
تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامى – ط الأولى ١٩٩٣

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com